الفارابي

سلسلة المسرح العالمي ١٥

برتولد بريشت

جان دارك قديسة المسالخ

ترجمة: نبيل حفار   مراجعة: سعدالله ونوس

برتولد بريشت

جان دارك
قديسة المسالخ

ترجمة: نبيل حفار
مراجعة: سعدالله ونوس



١٩٨١

دار الفارابي ص. ب. ٣١٨١
بيروت تلفون ٣١٧٢٠٥

الطبعة الأولى ١٩٨١

• شخوص المسرحية •

جان دارك	برتبة ملازم في منظمة « القبعات السود » أو « جيش الخلاص ».

بيربون ماوكر	ملك اللحوم

كرايدِل

غراهام	أصحاب مصانع اللحوم

مايَرْزْ

لِنُّوكس

سْليفْت	مضارب بورصة

السيدة لاكَرْنيدِلْ	أرملة عامل

غلومْب	عامل

باولوس سْنايدَرْ	برتبة رائد في منظمة « القبعات السودْ »

مارتا	جندية في منظمة « القبعات السود »

جاكسون	ملازم في منظمة « القبعات السود »

مالْبري	ملازم في منظمة « القبعات السود »

مالْبري	ملاَّك مؤجِّر

نادل

أصحاب مصانع التعليب أو مصانع م. ت

تجار الجملة

مربو المواشي

سماسِرة

مضاربو البورصة

أفراد «القبعات السود» أو أفراد ق. س

عمال وعاملات

قادة عماليون

الفقراء

رجال المخابرات

صحفيون

باعة صحف

جنود

مارّة

• ملاحظات •

١ - تمت الترجمة بالاعتماد على آخر نسخة ألمانية محققة باشراف مساعدة الكاتب إليزابيت وبتان المنشورة في ألمانيا الديمقراطية عن دار:

AUFBAU - VERLAG, BERLIN UND WEIMAR 1967

في الجرء الرابع من المؤلفات المسرحية الكاملة.

٢ - تلفظ جميع أسماء العلم حسب اللهجة الأميركية.

٣ - حرف (غ) في (غراهام، غلومب) يلفظ كحرف (ج) في اللهجة المصرية.

٤ - جيش الخلاص: بالألمانية «HEILSARMEE» وبالانكليزية «SALVATION ARMY».

جمعية دينية ذات نظام شبه عسكري، أسسها في لندن (و. بوث W. BOOTH) عام ١٨٦٥، وهي متفرعة عن الكنيسة التبشيرية الطرائقية، لكنها خرجت عن نطاق الكنيسة وبدأت دعوتها لإعادة البشر إلى ملكوت الرب، عن طريق الوعظ في الشوراع والساحات بمرافقة فرقة موسيقية وجوقة غنائية. وهي تحاول تخفيف بؤس الناس في مراكز التجمعات السكانية الكبيرة عن طريق تقديم بعض الأطعمة الخفيفة والملابس للفقراء. كما أنها تهمل بعض العادات الكنسية الهامة. كالتعميد واحتفالات العشاء الأخير مثلاً.

مركز « هيئة أركان » الجمعية لندن ، ورئيس أركانها منذ ١٩٧٤ هو كليرنس وايزمان، وهي منتشرة في ٨٣ دولة. وقد بلغ عدد أعضائها حسب إحصاء ١٩٧٦ مليونين ، منهم ١٤٠٠٠٠ ضابط بين رجل وامرأة. وهذه المنظمة ممنوعة في جميع الدول الاشتراكية.

(عن موسوعة بروكهاوس الألمانية الكبرى ، الطبعة ١٨ - عام ١٩٧٨)

٥ - [....] هذه الأقواس تتضمن نصوص اللافتات المكتوبة أو المعروضة بالفانوس السحري

[...] هذه الأقواس تتضمن إرشادات الإخراج

٦ - استخدم بريشت للشخصية الرئيسية في مسرحيته الاسم الألماني (يوهانا دارك) وهو يقابل اسم الشخصية التاريخية الفرنسية (جان دارك) التي كان تاريخها موضوع عدد كبير من المسرحيات والأفلام العالمية.

• مقدمة •

في عام ١٩٢٠، كتب بريشت مقالة نقدية حول عرض لمسرحية فريدريش شيلر « دون كارلوس » جاء فيها : « الله يعلم أني كنت دائماً أحب مسرحية « دون كارلوس ». لكني أقرأ هذه الأيام في رواية سينكلير « المستنقع » قصة عامل في مسالخ شيكاغو، يُجوَّع حتى الموت. والقصة تتحدث عن الجوع العادي والبرد والمرض التي تحطم كيان الانسان وكأنها قدر مسلط من الله عليه. وذات يوم يحلم هذا العامل بشعاع بسيط من الحرية، فتكون النتيجة أن تسحقه الهراوات. إن حريته لا تمت بأدنى صلة إلى حرية دون كارلوس. أعرف هذا : لكني الآن ما عدت أستطيع أخذ عبودية كارلوس على محمل الجد.

وفي عام ١٩٢٦ تسجل مساعدة بريشت إليزابيت هاوبتمان في يومياتها الملاحظة التالية عن مشروع مسرحية بعنوان مؤقت، هو : « جو فلايشهاكَّر » : « ستدور أحداث هذه المسرحية في شيكاغو، وستكتب بأسلوب لغوي « فخم » ... وموضوعها سيكون صعود الرأسمالية. وقد جمعنا لهذه المسرحية مراجع علمية، كما سألت شخصياً عدداً من الأخصائيين حتى في بورصات برلين وبرسلاو وفيينا. وفي النهاية بدأ بريشت بدراسة الاقتصاد. » ثم وسع مجال أبحاثه بدراسة الماركسية التي كرس لها جل وقته حتى عام ١٩٢٩. وكانت النتيجة الأساسية لهذه الدراسات هي مسرحية « جان دارك قديسة المسالخ » التي كتبها بريشت في الوقت نفسه الذي كان يعمل خلاله بالمسرحيات التعليمية. لكن هذه المسرحية ليست مسرحية تعليمية أبداً. عندما نشرها بريشت لأول مرة في الكراس الخامس من « المحاولات » وضع لها العنوان الفرعي « دراما »، أما عندما نشرها في

الجزء الرابع من «المؤلفات المسرحية» فقد كان بين عدد قليل جداً من المسرحيات التي لا تحمل أي عنوان فرعي.

رغم أن أحداث المسرحية تدور في شيكاغو البعيدة وتستخدم الاسلوب «الفخم» المعقد، كأداة تعبير، فإن علاقتها الزمنية بفترة كتابتها وثيقة، أكثر من أي عمل مسرحي آخر كتبه بريشت.

في يوم الجمعة الأسود، أي يوم انهيار بورصة نيويورك في ٢٤ تشرين الأول - اوكتوبر ١٩٢٩ انطلقت الأزمة الاقتصادية من الولايات المتحدة الأميركية لتجرف العالم بأسره في أكثر الكوارث الاقتصادية التي عرفها تاريخ البشرية حدة. وعن هذه الأزمة بالذات كتب بريشت هذه (المسرحية الموديل)، عن ازدهار وتدهور الحياة الاقتصادية بصفتها القوانين المحركة للرأسمالية التي فقدت مقومات وجودها.

إنِ هذه المسرحية تظهر معرفة بريشت العميقة بالاقتصاد السياسي الماركسي، وخاصة بـ «رأس المال». عندما وصلت الأزمة الاقتصادية إلى ألمانيا انتشرت على أثرها مباشرة البطالة الكبيرة، وعم الجوع والمرض والتشرد، وظهرت بوادر الجرائم الاجتماعية كظاهرة مفاجئة ومقلقة. وكان أول المتضررين هم العمال والشغيلة. في هذه المسرحية يتجه بريشت نحو معالجة النضال المنظَّم للطبقة العاملة، فيخلق شخصيات جديدة لم تظهر في أعماله السابقة. فلا هي من طراز (بعل) ولا (كراجلر) الأناني بالفطرة، ولا حتى من طراز (الأم) التي تعمل وتنشط بدافع غريزة الأم. بل نرى هنا بروليتاريين حقيقيين يضحون بكل ما لديهم من أجل قضية الطبقة العاملة. وعلى الرغم من أن هؤلاء لم يكتسبوا في هذه المسرحية بعد الصفات الفردية والليونة الشخصية، أي اللحم والدم، فيظهرون كهياكل غير واضحة المعالم؛ إلا أن مجرد ظهورهم والتأكيد على موقفهم الذي يؤدي إلى تحول جذري في وعي جان دارك، يؤكد على أن موضوعة جديدة قد بدأت تتجذر في تطور أعمال بريشت، مما يكسبها أهمية خاصة.

لقد نضج مخطط هذه المسرحية عبر سنوات طويلة، إذ سبقتها مسرحيات

أخرى ومخطوطات غير مكتملة ومشاريع عديدة، منها كما ذكرنا: «جو فلايشهاكر» و«دان درو أو إري بان» و«النهاية السعيدة». ومشروع مسرحية «النهاية السعيدة» الذي كتبته مساعدة بريشت إليزابيت هاو بتمان يشكل القاعدة الأساسية التي انطلق منها العمل في «جان دارك قديسة المسالخ». وبالإضافة إلى ذلك عاد بريشت إلى نماذج كلاسية وعناصر أسلوبية، ضمَّنها مسرحيته ليصل من خلالها إلى معالجة معاصرة لتطور الشخصية الفاوستية، لا بمفهوم غوته وشيلر الألمانيين في أواخر القرن الثامن عشر، بل في خضم الصراع التناحري بين الرأسمالية الصاعدة ـ بكل أزماتها وشروخها وطموحاتها ـ وبين الطبقة العاملة التي بدأت أكثر فأكثر تصبح عاملاً أساسياً في تطور حركة التاريخ. وقد ذكر بريشت في إحدى ملاحظاته حول هذه المسرحية، أن إخراجها مسرحياً يجب أن يراعي من حيث التجسيد شكل ومضمون العناصر الاسلوبية والنماذج الكلاسية، من أجل إبراز «المعارضة الساخرة» فيها.

وخلال مراحل تبلور الحدوتة والفكرة، بحثاً عن الشكل الملائم، توصل بريشت إلى فكرة «معارضة ساخرة» **PARODISTISCHE UMKEHRUNG** لمسرحية فريدريش شيلر ـ التراجيدية الرومانسية ـ «عذراء أورليانز»، تعتمد على المعارضة الشعرية.

كان بريشت يرى أن الشعر المعفى ـ غير المقفى ـ **BLANKVERS** ـ هذا الأبيات المؤلفة عادة من خمس حركات يامبية **FUENFFUESSIGER JAMBUS**، قابلة للتعديل حسب الضرورة ـ دخيل إلى حدٍ ما على اللغة الألمانية وغير منسجم مع روحها، وأن استخدامه من قبل الكلاسيين الألمان ينطوي على مفارقة تاريخية ساخرة. فهو في الشعر الانكليزي ذو أصول شعبية، وقد استخدمه كريستوفر مارلو ببراعة. إلا أنه تحول في الاستخدام الألماني ليصبح تعبيراً ينم عن الفخامة والجزالة اللغوية، وعن المواقف الجليلة السامية، وليس عن مضامين شعبية بسيطة. وبما أن غوته وشيلر كانا ينطقان باسم البورجوازية الصاعدة، فإن

استخدامهما لهذا الاسلوب الشعري - في رأي بريشت في الثلاثينات - يعبر عن موقف متناقض تاريخياً، إذ أن الشعر المعفى ازدهر في الألمانية مع المرحلة الاقطاعية. ومن هنا جاءت العناصر الأسلوبية «الفخمة» التي استقاها بريشت من شيلر وغوته وعارضها ساخراً منها في «جان دارك قديسة المسالخ». فقد جعل بريشت جميع شخصيات مسرحيته التي تمثل الرأسمالية وخاصة بيربون ماولر تنطق بأيقاع شعري شيليري، في حين أن الموقف لا ينطوي على أية جلالة أو سمو انساني. وإنما على مؤامرات اقتصادية خسيسة في المسالخ والبورصات ومصانع التعليب التي تفوح منها رائحة الدماء الحيوانية والبشرية معاً. أما جان دارك فإن لغتها هي لغة بريشت الشعرية، وكذلك العمال وكل من يمثل الطرف النقيض. وهو لا يقتصر في معارضته الساخرة على استعادة مواقف وكلام شيلر، بل إنه ينتقل إلى غوته في «فاوست» ليستعيد بعض مونولوجاته ويعارضها - وخاصة مونولوج الخاتمة - بأسلوب أقل ما يقال فيه هو أن بريشت أحد عمالقة الشعر الألماني شكلاً ومضموناً.

وبأدوات «المعارضة الساخرَة» يضع بريشت شكل ومضمون مسرحيته في صراع، بحيث يكشف كل طرف منهما الطرف الآخر: الشكل يتكشف للقارىء والمشاهد كشيء مضحك لا معقول وزائف في حين أن المضمون يعرِّي اسلوب حياة البورجوازية الامبريالية المعاصرة في كافة جوانب تدهورها ووحشيتها وتهتكها الأخلاقي وعقمها. وهكذا فإن «المعارضة» لدى بريشت تُغَرِّب المادة المعالجة، وفي انسجام تام مع نظرية المسرح الملحمي نجدها تخدم مهمة شحذ قدرة المراقبة والمتابعة لدى المشاهد وتوقظ حسه النقدي.

إن جان دارك هنا، من حيث وقائع الحدث، هي «عذراء أورليانز»، ولكنها في الوقت نفسه شخصية أخرى. فهي لدى شيلر تناصر الضعفاء والمسحوقين وتنتصر عدة انتصارات إلى أن تستشهد، فتُكلَّل بطلة وقديسة. أما هنا فإن جميع انتصاراتها شكلية زائفة وكانت عملياً لصالح أرباب

العمل ضد العمال، الذين تريد جان دارك بكل جوانحها أن تشاركهم مصيرهم وتخفف من بؤسهم. لكنها نتيجة الأحكام الدينية المسبقة التي تسيطر على تفكيرها وتسيره، ترتكب الخطأ تلو الخطأ، إلى أن تعي لحظة موتها الطريق الحقيقي لخلاص المسحوقين. وعندما تفتح فمها لتعلنه أمام الفقراء يخنقها التجار والمتاجرون بأعلام التبجيل والقداسة. لقد تحولت بين أيديهم إلى سلعة أخرى، تساهم في استمرارهم في مراكزهم وفي تحكمهم بمصائر العمال والكادحين.

كثيراً ما اتهمت هذه المسرحية بأنها أسيرة فترة نشوئها، ولذا فقد فقدت أهميتها ومعاصرتها. لكننا بنظرة سريعة إلى أزمات العالم الرأسمالي الامبريالي من حولنا وبنظرة أخرى إلى موجات الردة الدينية في الغرب بحثاً عن الخلاص من عالم لم يعد معقولاً أو قابلاً للعيش، ندرك أهمية هذه المسرحية طالما بقي الصراع قائماً بين المستغِلين والمستَغلّين.

لم تكن عملية الترجمة بالأمر السهل أبداً، ولا أزعم أني حققت الكمال في عملي، ولولا الجهود الكبيرة التي بذلها الأخ سعد الله ونوس في مراجعة النص عن الترجمة الفرنسية المحققة، لما وصلنا إلى تحقيق هذا العمل بالشكل الذى هو عليه حالياً، ونرجو أن نكون قد وفقنا في جهودنا.

نبيل حفار - ١٩٨٠

المراجع:

- **Käthe Rülicke Weiler, «Die Dramaturgie Brechts»äthe Henschel Verlag, Berlin 1966**
- **W. Hecht, h.j. Bunge, K.R.Weiler, «Bertolt Brecht–Seinleben Und Werk», Volk Und Wissen Verlag, Berlin 1969**
- **Ïlja Fradkin, Bertolt Brecht –Weg und Methode» Röderber Verlag: Frankfurt Am Main 1977**
- **Hennig Rischbieter, «B-Brecht 1–2» Friedrich Verlag Dtv, Velber Bei Hannover 1974**

- **Hans Mayer, «Brecht in der Geschichte»**
  Suhrkamp Verlag: Frankfurt Am Main 1976

(١)

[ملك اللحوم بيربون ماولر يتلقى رسالة من أصدقائه في نيويورك]

[شيكاغو ، المسالخ]

ماولر (يقرأ رسالة) « العزيز بيربون . . يبدو واضحاً لنا أن السوق أصبحت منذ فترة قصيرة متخمة باللحوم إلى أقصى حد . وفي الجنوب تمنع الحواجز الجمركية كل محاولتنا للتصريف . لهذا ننصحك أيها العزيز بيربون أن تنفض يدك من تجارة اللحم . » هذه النصيحة وصلتني اليوم من أصدقائي الأعزاء في نيويورك . لكن هو ذا شريكي . (يخفي الرسالة)

كرايدل أيها العزيز بيربون لماذا تبدو كئيباً؟

ماولر هل تذكر يا كرايدل تلك الجولة التي قمنا بها ذات يوم عبر المسالخ؟

كان الوقت مساء . وأمام آلة التعليب الجديدة ، لو تذكر يا كرايدل

رأينا ثوراً نبيلاً أشقر . .

يرفع نحو السماء عينيه الواسعتين والبريئتين .

كنا ننظر إليه عندما هوت عليه مقصلة الآلة فذبحته .

تلك الضربة نفذت إلى أعماق قلبي . .

كرايدل إذن هي حساسيتك القديمة!

ولكن من يصدق يا بيربون.. أنت العملاق بين الجميع
وملك المسالخ الذي يُرهب الجزارين
يهزك الألم لموت ثور اشقر!
أرجوك ألا تخبر بذلك أحداً سواي

ماولر	أيها الصديق المخلص
لماذا تركت نفسي أزور المسالخ؟
خلال السنوات السبع التي مارست فيها هذه التجارة
كنت دائماً أتجنب ذلك المكان..
ما عدت أحتمل هذه التجارة الدموية..
سأتخلى عنها.. منذ الآن..
أتشتري حصتي يا كرايدل؟
سأبيعها لك بأرخص سعر. إني أوليك الأفضلية.
فما من أحد يلم بأسرار هذه التجارة مثلك.

كرايدل	كم يبلغ سعرك الرخيص؟

ماولر	بين اصدقاء قدامى مثلنا لا يمكن أن تطول المساومة.
عشرة ملايين.

كرايدل	ما هو بالسعر الغالي،
لولا وجود لنوكس الذي ينافسنا على كل لعبة لحم
ويخرب السوق بأسعاره الرخيصة.
سيسلخ جلودنا إن لم نسلخ جلده.
لا أستطيع أن أقبل عرضك إذا لم يُدمَّر.
وأنت وحدك القادر على تدميره.
منذ الآن عليك أن تشحذ دماغك، وتدبر له مقلباً.

ماولر	لا يا كرايدل..
ما زال أنين ذلك الثور يهز فؤادي،
لهذا، لا بد أن يسقط لنوكس، وبسرعة.

من الآن فصاعداً أريد أن أعيش رجلاً خيِّراً، لا جزاراً.
هيا يا كرايدل، سأدلك على الوسيلة التي تدمر بها لنوكس.
لكن بعد ذلك لا بد أن تنزع هذا الثقل عن صدري،
وتشتري حصتي.

كرايدل عندما يسقط لنوكس. (يخرجان)

• • •
• •
•

(٢)

ـ أ ـ

[إفلاس كبرى مصانع تعليب اللحوم]
[أمام مصانع لنوكس لتعليب اللحوم]

العمال

إننا سبعون ألف عامل في مصانع تعليب اللحم هذه..
أجورنا هزيلة، لا يمكن أن نتدبر بها معيشتنا
أمس، خفضوا الأجور ثانية، وفجأة
واليوم رفعوا أمامنا هذا الاعلان:
« من لا تعجبه أجورنا، يستطيع أن يغادر مصنعنا »
إذن فلنغادره جميعاً.
ولنبصق على هذه الأجور التي تتناقص يومياً.
(صمت)
منذ زمن طويل هذا العمل يقرفنا..
والمعمل بالنسبة لنا جحيم.
الخوف وحده أبقانا هنا..
الخوف من شيكاغو ومن برد الشتاء.
أما الآن: فعمل اثنتي عشرة ساعة ما عاد يكفينا
لشراء الخبز الجاف وأرخص الثياب.
إذن خير لنا أن نترك
ونواجه موتنا دون تأخير.

(صمْت)

ماذا يحسبوننا؟

أيحسبوننا ثيراناً مستعدة لتحمل أي عبء؟

أم يحسبوننا حميراً؟..

إذن خير لنا أن نموت.. ولنغادر المصنع دون تأخير

(صمت)

هـ.. أنتم.. ماذا دهاكم؟ إنها الساعة السادسة!

لماذا لا تفتحون الأبواب يا كوَماً من الجلادين!

ثيرانكم تنتظر هنا، يا عصابة من الجزارين..

افتحوا.. (يقرعون الأبواب)

لعلهم نسونا؟

(ضحك)

افتحوا! نريد أن ندخل إلى حجوركم القذرة،

ومجاريركم المنتنة.. كي نحضر قطع اللحم الشهية

للذين يستطيعون دفع أثمانها..

(صمت)

كحد أدنى، نطالب بالأجر السابق الذي ما كان يكفينا.

وكحد أدنى، نطالب بعشر ساعات عمل في اليوم لا أكثر.

وكحد أدنى..

رجل (وهو يعبر الطريق) ماذا تنتظرون؟

ألم تعلموا أن لنوكس أغلق مصانعه؟

(باعة الصحف ينتشرون على الخشبة)

باعة الصحف لنوكس، ملك اللحم مضطر لاغلاق مصانعه... تشريد سبعين ألف عامل.

لنوكس يسقط ضحية المنافسة الرهيبة مع ملك اللحوم الشهير والرجل الخيِّر بيربون ماولر!

العمال يا ويلنا!
حتى الجحيم يغلق أبوابه في وجوهنا!
لقد ضعنا.
مصاص الدماء ماولر يضغط على عنق جلادنا،
ونحن الذين نختنق...

ب

[ب. ماولر]

[طريق]

باعة الصحف أنباء شيكاغو طبعة الظهيرة... ملك اللحوم والرجل الخير بيربون ماولر سيفتتح مستشفيات ماولر، وهي أعظم وأغلى المستشفيات في العالم.

(ب. ماولر يعبر الطريق بصحبة رجلين.)

عابر (مخاطباً زميله) إنه بيربون ماولر. ولكن من هما الرجلان اللذان يصحبانه؟

الآخر عنصران من المخابرات. يرافقانه كي يمنعا أي اعتداء عليه.

ج

[مِن أجلَ تقديمِ العزاء لبؤساء المسالخ
يغادر أفراد القبعات
السود مقر رسالتهم التبشيرية.]

[جان تزور للمرة الأولى الأحياء الفقيرة]

[أمام مقر القبعات السود]

جان (على رأس « مجموعة طليعية » من منظمة القبعات السود.)

في هذا الليل المسربل بالدم والحيرة..
في هذا الزمن.. زمن الفوضى المنظمة
والتعسف المدبَّر
والانسانية التي فقدت انسانيتها..
حيث لم تعد الاضطرابات تتوقف في مدننا.
في هذا العالم الشبيه بمسلخ كبير
نريد أن نوقد جذوة الايمان بالله...
لقد نادتنا إلى هذا المكان شائعات عن أعمال عنف وشيكة
الوقوع،
ولكي نمنع شعباً قصير النظر
من أن يحطم في فورة عنف طائشة أدوات عمله،
ويدمر بذلك، أداة رزقه...
فإننا نريد أن نوقد جذوة الايمان بالله.
ما عاد للرب منفذ إلى الأماكن الحقيقية حيث يعيش
الناس..
أصبح مجده باهتاً، واسمه مشبوهاً

مع أنه الخلاص الوحيد للبسطاء المسحوقين!
لهذا قررنا أن نقرع لمجده الطبول
كي تمتد جذوره في حارات البؤس
ويروي صوته في أعماق المسالخ.
(مخاطبة أعضاء المنظمة)
ما نجربه هنا هو محاولتنا الأخيرة.
في هذا العالم الذي يتهاوى،
ونعيد تشييده بأيدي المسحوقين من بسطاء الناس.
(يتابعون المسير وهم يقرعون الطبول.)

د

[استمر أفراد القبعات السود ينشرون رسالتهم في المسالخ طوال النهار، وعندما حل المساء وجدوا أن نتيجة عملهم صفر.]

[أمام مصانع لنوكس لتعليب اللحم]

عامل — يبدو أنهم يهيئون ضربة تهريب كبيرة في سوق اللحم.
بالنسبة لنا، هذا يعني أن ننتظر ونجوع.

عامل آخر — غرف المحاسبة مضاءة. إنهم يحسبون الأرباح هناك.
(يصل أفراد القبعات السود وينصبون لافتة كتب عليها:
«المبيت بـ ٢٠ سنتاً»، «مع القهوة بـ ٣٠ سنتاً»)

القبعات السود — (يغنون)
اصغوا جميعاً! اصغوا إلينا!
أنت، أيها الرجل الذي يغرق، إننا نراك
استغاثتك سمعناها

وتلويحة يدك لمحناها
أوقفوا السيارات! عطلوا المرور!
أيها الغرقى تشجعوا ، فجند الله قادمون وها هم أمامكم .
أنت يا من تغرق
أنظر إلينا ، أنظر إلينا يا أخانا قبل أن تغرق
إننا نحضر لك ما تأكله
ولم ننس أنك ما زلت بلا مأوى .
لا تقل إن هذا لن يفيد .. كل شيء سيتغير .
إن الظلم في هذا العالم لا يمكن أن يستمر
إذا التف الجميع حولنا وساروا معنا
ولم يبالوا بشيء إلا بتقديم العون للقريب .
سندفع الدبابات وننصب المدافع
ونقود الطائرات في السماء
والسفن الحربية في البحر
كي ننتزع لك أيها الأخ صحن حساء .
أنتم أيها الفقراء
جيش جرار في هذا العالم
أنتم الذين تصغون إلينا ، لا تنظروا إلى الغد .
منذ اليوم بادروا إلى معونة القريب .
إلى الأمام ، اهجموا ، احملوا بنادقكم .
تشجعوا أيها الغرقى تشجعوا ، فجند الله قادمون .. وها هم أمامكم .

(خلال الغناء يوزع أفراد القبعات السود منشورهم « نداء المعركة » . يوزعون كذلك الملاعق والصحون والحساء . العمال يقولون « شكراً » وينصتون الآن لخطاب جان .)

جان: إننا جنود الإله الطيب. بسبب قبعاتنا يلقبوننا أيضاً القبعات السود. إننا نسير تتقدمنا الأعلام والطبول إلى أي مكان يسوده الاضطراب ونخشى انفجار العنف فيه، كي نذكر الناس بالإله الطيب الذي نسوه جميعاً. نريد أن نهدي إليه النفوس الضالة. إننا نسمي أنفسنا جنوداً لأننا جيش، وعلينا أينما توجهنا أن نحارب الجريمة والبؤس وكذلك القوى التي تريد أن تجرنا إلى الحضيض. (تبدأ بتوزيع الحساء بنفسها) والآن تناولوا هذا الحساء الساخن وستلمسون كيف تنظرون إلى الأمور بعدئذ نظرة مختلفة. لكن أرجو أن تفكروا أيضاً بمن يهبكم هذا الحساء. وإذ تفكرون به بهذه الطريقة ستدركون أن الحل الوحيد لمشاكلكم هو أن تسعوا إلى السماء، لا أن تسعوا في الأرض.. أن تجدوا لكم مكاناً طيباً في السماء، لا مركزاً هنا في الأرض. ها أنتم ترون أنه لا مجال للاعتماد على السعادة الأرضية، أبداً. فالتعاسة تهطل كالمطر. إن أحداً لم يستدرَّ المطر.. ومع هذا فهو يهطل.. قولوا لي من أين تنبع تعاستكم؟

أحد الآكلين: من لنوكس وشركاه.

جان: ربما كانت متاعب السيد لنوكس أكبر من متاعبكم. ما الذي تخسرونه أنتم؟
أما هو فخسارته تعد بالملايين.

أحد العمال: حساؤكم هذا قليل الدسم لكنه وفير بالماء المغذي. أما عن السخونة، فالحساء ساخن.

عامل آخر: اخرسوا أيها الجاحدون! انصتوا واتعظوا بالقول الإلهي! وإلا حرمتم من صحن الماء الساخن.

جان: أرجو الهدوء!.. قولوا لي أيها الأصدقاء، لماذا أنتم فقراء؟

العامل الأول: أرجو هيا، اخبرينا أنت.

جان سأخبركم عن السبب: لا لأنه لم يُمَنَّ عليكم بالنِعم الأرضية، ولا يمكن أن يحوز الجميع هذه النعم، بل لأنكم لا تدركون ما هو عُلوي إلهي. لهذا أنتم فقراء.

إن المتع الرخيصة التي تسعون إليها، كلقمة الطعام والمنزل الجميل والسينما، ما هي إلا متع حسية وفجة. أما كلمة الرب فهي متعة أعمق وأغنى وأكثر حلاوة؛ ربما لا تتصورون أن هناك ما هو أشد حلاوة من العسل، لكن كلمة الرب هي دون ريب أكثر حلاوة. آه ما أحلى كلمة الرب! إنها كالمن والسلوى، ومن يسكن في كنف الرب كمن يسكن في قصر من الذهب الخالص والمرمر الأبيض. يا صغار المؤمنين، لا تملك الطيور بطاقات توظيف، وزنابق الحقول ليس لديها عمل، ومع ذلك فالرب يغذيها لأنها تسبح بحمده. تريدون جميعاً أن تعلوا فوق أوضاعكم. لكن ما هو هذا «الفوق» الذي تأملونه، وكيف تصلون إليه؟.. نحن جماعة القبعات السود نوجه إليكم هذا السؤال العملي: ماذا يحتاج الانسان كي يعلو في حياته؟

العامل الأول قبة قميص منشاة.

جان لا، ليس قبة منشاة. هنا على الأرض ربما احتاج الانسان إلى قبة منشاة كي يحرز النجاح. أما أمام الرب فيحتاج الانسان أكثر من ذلك.. يحتاج بهاءً آخر. أنتم لا تملكون حتى قبة مهلهلة حول رقابكم، لأنكم أهملتم أرواحكم. ولكن كيف تريدون الصعود إلى الأعلى أو إلى ما تسمونه في جهالتكم «الأعلى»؟ أبالهمجية والعنف؟ ومتى استطاع العنف أن يحقق شيئاً آخر سوى الدمار. تحسبون أنكم إذا كشرتم عن نيوبكم، تصبح الأرض جنة. لكن أقول لكم: بهذا لا تبنى الجنة، بل تعم الفوضى.

(أحدُ العمال يأتي راكضاً)

العامل ثمة عمل شاغر!

هناك في المصنع الخامس يناديكم عمل وأجر.!

من الخارج يبدو المكان كالمرحاض.

فأسرعوا!

(ثلاثة عمال يتركون صحون الحساء المليئةِ ويهرعون.)

جان أنتم هناك، إلى أين تركضون؟

عندما يحدثكم الانسان عن الرب تسدون آذانكم، أليس كذلك؟!

فتاة من ق. س انتهى الحساء.

العمال انتهى الحساء.

كان ماء ساخناً قليل الدسم،

لكنه أفضل من لا شيء.

(الجميع يديرون ظهورهم وينهضون.)

جان ابقوا جالسين، ما أهمية أن ينتهي حساؤنا،

ما دام الحساء الرباني لا ينتهي أبداً.

العمال متى ستفتحون أبواب أقبيتكم

أيها الجزارون، تجار اللحم البشري؟

(يشكلون جماعات)

رجل كيف سأدفع الآن أجر بيتي،

أجر الجحر الفاخر، الرطب

الذي يؤوي اثني عشر فرداً من عائلتي؟

لقد دفعت سبعة عشر قسطاً

والآن حل موعد القسط الأخير.

هل يرمون بنا إلى الشارع

فلا نرى بعد أرض بيتنا المدكوكة المليئة بالحشيش الأصفر،

ولا نتنفس الهواء المسموم الذي اعتدنا عليه؟

رجل آخر (ضمن حلقة)
ها نحن نقف بأيدٍ كالمجارف ورقاب كالجرارات
ونريد أن نبيع الأيدي والرقاب،
لكن ليس هناك من يشتري.

العمال وأدوات عملنا، مجموعة المكابس والرافعات
مسجونة وراء هذه الجدران!

جان ولكن ماذا يحدث؟ ها هم يديرون لنا ظهورهم بكل بساطة!
ألأنكم فرغتم من الطعام؟ شكراً وإلى اللقاء.!
إذن، لماذا أصغيتم حتى الآن؟

أحد العمال بسبب الحساء.

جان غنوا! ولنتابع المسيرة..

القبعات السود (يغنون) ادخلوا المعمعة وقاتلوا!
ارفعوا الصوت وغنوا، دائماً غنوا!
ما زال الليل يخيم، لكن الفجر يبزغ ساطعاً..
وقريباً يتقدم إليكم، بكل عظمته، يسوع المسيح.

صوت (من عمق المسرح) عند ماولر ما زالوا يطلبون عمالاً.
(ينصرف العمال ولا يبقى سوى بضع نساء)

جان (بغضب) هيا، لُمّوا آلاتكم الموسيقية!
أرأيتم كيف انصرفوا عندما انتهى الحساء؟
لا يعرفون أن يسمَوْا بأبصارهم فوق حافة الصحن..
ما عادوا يؤمنون إلا بما تمسكه أيديهم،
ولكن هل يصدقون حتى أيديهم؟
يعيشون ليومهم، بل لساعتهم، في الخوف والقلق
لهذا ما عاد بوسعهم أن يتحرروا
من شواغل الدنيا الوضيعة.

لا شيء ، سوى الجوع ، له سلطان عليهم .
لا نشيد يهزهم
لا كلمة تستطيع أن تصل إلى أعماقهم ، أو تنفذ إلى قلوبهم .
(إلى الواقفات حولها)
يبدو وكأن مهمتنا نحن جيش القبعات السود
هي أن نُشبع بملاعقنا الجائعين في هذه القارة .
(العمال يعودون . صراخ من بعيد)

العمال (في مقدمة الخشبة) ما هذا الصراخ؟
إن سيلاً بشرياً يتدفق قادماً من المسالخ .

صوت (من عمق المسرح) مصانع ماولر وكرايدل أغلقت أيضاً .
ومصانع ماولر قررت طرد العمال .

جموع العمال (الذين يتدفقون) في منتصف الطريق ،
ونحن نجري بحثاً عن عمل ،
التقينا حشداً هائلاً من الرجال اليائسين .
فقدوا جميعاً عملهم . .
وكانوا جميعاً يسألون عن عمل .

عامل (في مقدمة الخشبة) يا ويلنا!
على مدّ البصر ما تزال حشود من الرجال
تأتي من هناك!
ما مصيرنا ، وماولر هو الآخر أغلق مصانعه؟

القبعات السود (لجان) والآن هيا بنا . . تجمدنا من البرد والبلل
ويجب أن نأكل .

جان قبل ذلك أريد أن أعرف من المسؤول عن هذا كله .

القبعات السود قفي! لا تتدخلي بهذه الشؤون . .
سيصمّون أذنيك بصراخهم .
ليس لديهم إلا الأفكار المنحطّة . . إنهم جمع من النهمين

والكسالى
الذين ينفرون من أداء الواجب.
طوال حياتهم، لم تنبض في قلوبهم أية عواطف نبيلة.

جان: لا، أريد أن أعرف. (للعمال) والآن أخبروني:
لماذا تتسكعون هنا دون عمل؟

العمال: ماولر الدموي ولنوكس البخيل يتصارعان.
ونحن نحصد النتيجة.. معدة خاوية.

جان: وماولر هذا، أين يسكن؟

العمال: هناك عند سوق الماشية
في إحدى العمارات الضخمة التابعة لبورصة الماشية.

مارتا: لا تحشري نفسك في هذه المشاكل.
ولو طرحت ألف سؤال، فستسمعين ألف جواب.

جان: لا، أريد أن أرى هذا الماولر ما دام يسبب هذا البؤس كله.

القبعات السود: يبدو لنا مصيرك قاتماً يا جان..
لا تتدخلي في النزاعات البشرية،
من يتدخل فيها يصبح فريستها
وتتلاشى طهارته الأولى.
كذلك يبدد الصقيع الطاغي
بقية الدفء في قلبه.
كل من يهجر بيت الدفء والحماية
تهجره طيبته.
تنزلقين إلى الأسفل
سعياً وراء جواب لن تصلي إليه،
ودرجة درجة، ستغوصين في الوحل.
لأن الأفواه التي تطرح الأسئلة دون حذر
تُسدُّ دائماً بالوحل.

جان أريد أن أعرف.

(القبعات السود يتعمدون..)

• • •

• •

•

٣

[بيربون ماولر يحس بنفحة من عالم آخر...]

[أمام بورصة الماشية]

(جان ومارتا تنتظران في الأسفل.. في الأعلى يبدو لنوكس وغراهام وهما من أصحاب معامل التعليب منهمكين في الحديث. لنوكس أبيض الوجه من شدة الشحوب. تتناهى من العمق ضجة البورصة.)

غراهام
آه يا لنوكس الطيب، لقد أجهز عليك ماولر المتوحش.
إزدهار هذا الوحش لا يمكن إيقافه.
بين يديه، الطبيعة تصبح سلعة.
إنه يبيع حتى الهواء نفسه،
بل ويبيعك ما في معدتك..
من أنقاض البيوت، يستخرج إيجارات..
ومن اللحوم الفاسدة يستخرج ذهباً.
ولو قذفت على رأسه حجارة..
لحوّل الحجارة نفسها إلى فضة.
إن حس المال لدية طاغٍ.
ورغم أن هذا الحس مخالف للفطرة
فإنه غريزي لديه،
حتى أنه لا يستطيع إخفاء هذه الغريزة.

ومع هذا، أقول لك: هذا الرجل ليس قاسياً..
ولا يحب المال.. لا يتحمل روًية البوًس..
ولا يغفو في الليل إلا غفوة مضطربة.
لهذا أنصحك أن تذهب إليه..
وأن تقول له بصوت مخنوق:
أنظر إليَّ، وارفع يدك التي تضغط على عنقي وتخنقني.. فكر في شيخوختك!
يقيناً سيخاف، وقد يبكي.

جان (لمارتا) أنت الوحيدة التي رافقتني إلى هنا،
أما الأخريات فقد تخلين عني، وصرخاتهن تحذرني..
بالنسبة لهن تجاوزتُ كل الحدود.
غريب هذا التحذير!
أشكرك يا مارتا.

مارتا وأنا أيضاً حذرتك يا جان

جان مع هذا جئت معي.

مارتا ولكن هل ستتعرفين عليه يا جان؟

جان لا تخافي، سأعرفه.

(يخرج كرايدل من البورصة ويهبط إلى الخشبة)

كرايدل حسناً يا لنوكس، حرب الأسعار انتهت! وأنت أفلست.
سأغلق مصانعي حتى يرتاح السوق.
الآن سأنظف المصنع وأزيِّت السكاكين
ثم أنصب بعض الآلات الجديدة
التي ستوفر علي حفنة جميلة من أجور العمال.
الطريقة الجديدة في العمل بالغة الدهاء.
بساط متحرك يحمل الخنزير إلى الطابق الأخير.
وهناك تبدأ عملية التقطيع.

دون مساعدة يلقي الخنزير بنفسه فوق السكاكين.
أليس اختراعاً ماهراً؟..
يذبح الخنزير نفسه ويتحول إلى نقانق.
ففي سقوطه من طابق إلى طابق
يخلع جلده الذي يرحل إلى المدابغ
ويترك وبره الذي تصنع منه الفراشي
ثم عظامه التي تتحول إلى طحين للغراء،
وهكذا حتى يصل بنفسه، بكل شحمه ولحمه،
إلى العلب التي تنتظره في الطابق السفلي..
أليس اختراعاً جميلاً؟..

غراهام: جميل جداً. ولكن كيف ستصرّف المعلبات؟ وقت ملعون!
السوق متخمة بالبضاعة،
والتجارة التي كانت مزدهرة يخنقها الكساد.
في صراعكم على احتكار سوق متخمة أصلاً
وفي مضارباتكم بالأسعار،
هوت الأسعار، وأفسدتم تجارتكم.
إنكم كثورين يدوسان العشب الذي يتصارعان عليه.
(يبرز ماولر مع سمساره سليفت بين مجموعة من أصحاب م. ت
وخلفه عنصران من المخابرات.)

أصحاب م.ت: المسألة كلها هي معرفة من يصمد حتى النهاية.

ماولر: أسقطنا لنوكس. (للنوكس) اعترف أنك انتهيت!
والآن أطالبك يا كرايدل بأن تأخذ عني مصانع التعليب،
كما هو مسجل في العقد، أي فور سقوط لنوكس.

كرايدل: طبعاً، لنوكس انتهى، لكن، انتهت معه أيضاً
فترة ازدهار السوق،
لهذا عليك يا ماولر أن تخفض العشرة ملايين دولار

التي تطلبها ثمناً لحصتك.

ماولر ماذا؟ السعر واضح في العقد!
انظر يا لنوكس. أليس العقد واضحاً، والسعر محدداً!

كرايدل نعم، عقد أُبرم في أيام الازدهار.
هل يذكر العقد شيئاً عن الكساد؟
ماذا أفعل وحدي، بهذا المسلخ الضخم
إذا لم يوجد من يشتري علب اللحم؟
الآن فهمت لماذا لا تتحمل بعد منظر ثور يذبح،
لأن لحمه لا يباع.!

ماولر لا.. بل لأن قلبي ينقبض
عندما أسمع خوار هذه المخلوقات.

غراهام الآن فهمت يا ماولر سر العظمة في أعمالك.
حتى قلبك يعرف كيف يكون بعيد النظر.

لنوكس ماولر، أود لو أفحص معك..

غراهام المس شفاف قلبه يا لنوكس.. شفاف قلبه!
إنه مزبلة.. لكنه حساس.
(يوجه لكمة إلى موضع قلب ماولر.)

ماولر اخ

غراهام أترى! إن في صدره قلباً.

ماولر ما هذا يا فريدي! ما دمت توجه إلي اللكمات،
فأطلب من كرايدل ألا يشتري منك علبة، بعد اليوم.

غراهام لا يصحُّ يا بيري،
أنت تخلط الآن الشؤون الخاصة بشؤون التجارة.

كرايدل اتفقنا يا بيربي. لن أشتري علبة منه بعد اليوم.

غراهام عندي ألفان من العمال يا ماولر!

كرايدل أرسلهم إلى السينما!

لكن عقدنا يا بيربي يعتبر لاغياً. (يبدأ بإجراء بعض الحسابات في دفتر صغير)

عندما اتفقنا على انسحابك من الشركة التي يملك كل منا ثلث أسهمها، كان سعر السهم ثلاثمائة وتسعين. لكنك بعتها لي بثلاثمائة وعشرين، كان السعر رخيصاً، أما اليوم فهو باهظ. لأن السهم لا يساوي الآن، بسبب تخمة السوق، أكثر من مائة. فإذا أردتُ أن أضع لك حسابك، تعيَّن عليَّ أن أطرح أسهمك في السوق، وهذا سيخفض سعرها إلى السبعين. فمن أين أدفع لك حصتك؟ سأفلس حتماً.

ماولر: ما دام هذا ما تقوله يا كرايدل،
فإنك تجبرني على طلب نقودي فوراً.
وقبل أن تفلس.
صدقني أن جبهتي تنضح عرقاً من الخوف.
أمهلك ستة أيام لا أكثر! ستة أيام؟
لا.. بالأحرى خمسة أيام، ما دام حالك كما ذكرت.

لنوكس: انظر إليَّ يا ماولر.

ماولر: اقرأ أنت يا لنوكس! هل يذكر العقد شيئاً عن الأزمة؟

لنوكس: لا. (يغادر المكان)

ماولر: (يلاحقه بنظره) يبدو لي وكأن هماً يعذبه!
وأنا، غارقٌ في تجارتي، لم ألاحظ ذلك.
آه، متى أتحرر من تجارة حيوانية كهذه.
كرايدل، أشعر بالقرف.
(كرايدل يبتعد. خلال ذلك تنادي جان أحد عنصري المخابرات وتقول له شيئاً ما.)

رجل المخابرات: يا سيد ماولر، هناك أناس يريدون التحدث معك.

ماولر: من الرعاع ذوي الأسمال

الذين يقطر من وجوههم الحسد،
ويبدون مستعدين دوماً للعنف؟..
لا.. لست موجوداً

رجل المخابرات شابتان من منظمة القبعات السود.

ماولر وما هذه المنظمة؟

رجل المخابرات منظمة متشعبة الفروع، وأعضاؤها كثيرو العدد، وهي تتمتع باحترام الطبقات الدنيا من الشعب.. إنهم يسمون أعضاءها جند الله.

ماولر سمعت بها من قبل..
ولكن أي اسم غريب.. جند الله!
ماذا تريدان مني؟..

رجل المخابرات تريدان التحدث إليك.
(خلال ذلك تستمر ضجة البورصة: البقر بـ ٤٣، الخنزير بـ ٥٥، العجل بـ ٥٩ إلخ)

ماولر طيب. أخبرهما أيضاً بأ تكتفيا بالإجابة على الأسئلة التي أطرحها،
وأن تعفياني من الدموع، والأغاني الشجية التي تحبان تردادها.
ما ينفعهما هو أن تتركا لدي الإنطباع بأنهما من الناس الطيبين
الذين لا تشوب حياتهم شائبة، ولا يطلبون مني المستحيل.
وشيء آخر أيضاً. لا تخبرهما أني ماولر
(يذهب رجل المخابرات إلى جان)

رجل المخابرات سيقابلكما، لكن عليكما ألا تسألا،
بل أن تجيبا على الأسئلة التي يطرحها.

جان (تتقدم بخطى مستقيمة نحو ماولر) أنت ماولر!

ماولر ليس أنا (يشير إلى سليفت) بل هو.
جان (تشير بيدها إلى ماولر) أنت ماولر!
ماولر لا، هو.
جان بل أنت.
ماولر وكيف تعرفينني؟..
جان لأن وجهك هو الأشد دموية بين الجميع. (يضحك سليفت)
ماولر أتضحك يا سليفت؟ (أثناء ذلك ينصرف غراهام) ماذا تكسبون في اليوم؟
جان عشرين سنتاً، بالاضافة إلى المعيشة والثياب.
ماولر القماش رقيق، وأفترض يا سليفت
أن الحساء قليل الدسم.
نعم، لا بد أن هذا القماش رقيق،
والدسم في الحساء قليل.
جان ماولر، لماذا تطرد عمالك؟
ماولر (لسليفت) أليس أمراً مستغرباً أن يعملوا دون أجر!
من سمع مثل هذا من قبل:
أن يعمل المرء مجاناً، ودون أن يأسف؟
ثم إني لا أقرأ في عيونهم جزعاً من الفاقة،
ولا خوفاً من المبيت ليلاً تحت الجسور.
(لجان) أنتم معشر القبعات السود غريبو الأطوار.
قليلاً يهمني، ما تطلبونه مني.
أعرف أن الغوغاء تسميني ماولر الدموي.
وهي تقول أني سببت إفلاس لنوكس
وحشرت كرايدل، الذي لم يكن أبداً رجلاً خيّراً
في وضع صعب.
لكن صدقوني، هذه مسألة مهنية

ولا يفيدكم أن تخوضوا فيها.
بالمقابل هناك قضية أخرى،
أحب أن أسمع رأيكم فيها.
أنوي وحالما تسنح الفرصة، التخلي كلياً عن هذه التجارة
الدموية.
لأني رأيت منذ فترة، والقصة ستثير اهتمامكم، ثوراً يموت،
فتأثرت إلى حد أني أريد التخلي عن كل شيء،
حتى حصتي في المصنع التي تعادل اثني عشر مليون دولار
بعتها لهذا الرجل بعشرة ملايين.
أليس هذا عملاً خيراً؟ وينسجم مع مبادئكم؟

سليفت: وهو يرى الثور يموت
قرر أن يذبح بدلاً من الثور المسكين
كرايدل الغني..
فهل كان هذا عملاً خيراً؟..
(أصحاب م.ت ينفجرون بالضحك)

ماولر: اضحكوا ما شئتم. فلن تزعجني هذه الضحكات.
قريباً سأراكم تبكون.

جان: يا سيد ماولر، لماذا أغلقت المسالخ؟
يجب أن أعرف السبب.

ماولر: أيمكن أن أقدم سببا أكثر وجاهة؟..
نفضت يدي من هذه التجارة الكبيرة،
لأنها مغمسة بالدم.

هيا قولي انه عمل طيب وإنه يعجبك.
أو... لا، لا تقولي شيئاً.
أعرف، وأعترف. تضرر البعض من هذا القرار.

أعرف أنهم فقدوا عملهم.
لكنه شرٌّ ما كان بالوسع تجنبه.
على كل حال ما هم إلا رعاع من سفلة الناس. —
والأفضل ألاّ تختلطي بهم. لكن أخبريني:
أما كان صائباً، انسحابي من هذه التجارة؟..

جان لا أعرف كيف أميز في كلامك الجدَّ من المزاح.

ماولر والسبب هو هذه العادة اللعينة في استخدام صوت مستعار.
ولكن لا تقولي شيئاً. أحس أنك تكرهينني.
(للآخرين)
أشعر أن نفحة من عالم آخر قد مستني.
هاتوا نقوداً، هيا أيها الجزارون، هاتوا نقوداً. (خلال ذلك ينبش ماولر جيوب أصحاب م.ت ويخرج الأموال ويعطيها لجان.)
خذيها للفقراء أيها الشابة!
ولكن! اعلمي أني لا أشعر بأي التزام
واني أنام مرتاح البال.
تتساءلين لماذا أقدم هذه المعونة إذن؟
ربما، لأن وجهك يعجبني،
لأنه بهذا الطهر والبراءة رغم سنوات عمرك العشرين.

مارتا (لجان) لا أعتقد أن قصده شريف يا جان.
اعذريني، سأتركك بدوري..
وعليك أنت أيضاً أن تتخلي عن هذا كله. (تغادر المكان)

جان يا سيد ماولر، ما هذه إلا قطرة ماء في صحراء،
ألا تستطيع أن تقدم لهم مساعدة حقيقية؟

ماولر أعلن على الملأ، إني أحبذ نشاطكم

وأتمنى أن يزداد عددكم،
لكن، لا تشغلوا بالكم كثيراً بمصير الفقراء.
فما هم إلا أنذال.
وعلى كل حال، لا يهز الناس مشاعري أبداً.
ليس بين الناس بريء. كلهم جزارون.
لكن دعينا من هذا الحديث.

جان	يقولون في المسالخ يا سيد ماولر انك سبب بؤسهم

ماولر	الثيران تثير شفقتي، أما الانسان فهو سيء،
لم ينضج بعد ليحقق ما تريدين له.
والعالم لن يتغير إلا إذا أمكننا تغيير الانسان أولاً.
لحظة من فضلك!
(يتحدث إلى سليفت بصوت منخفض)
خذها جانباً، واعطها المزيد من النقود.
قل لها كي تأخذها دون أن تحمر خجلاً:
« هذه لفقرائك ».
ثم اتبعها لترى ماذا ستشتري بها.
فإذا لم تنجح هذه الحيلة، وآمل ألا تنجح،
خذها إلى المسلخ واعرض عليها فقراءها...
دعها تبصر أنهم أنذال وجبناء
أشباه حيوانات ومتخمون بالخيانة..
وأنهم في النهاية المسؤولون عن حياتهم البائسة.
هذه الوسيلة يمكن أن تنجح
(مخاطباً جان)
هذا هو سوليفان سليفت، سمساري، سيريك شيئاً ما.

(مخاطباً سليفت)
لا أحتمل وجود أمثال هذه الفتاة
التي لا تملك سوى قبعتها القشية السوداء
وعشرين سنتاً في اليوم، والتي لا يساورها الخوف..
(ماولر يغادر المكان)

سليفت (لجان) لو كنت مكانك لما وددت أن أعرف ما تريدين معرفته.
لكن إذا كنت مصرة على معرفته، تعالي إليَّ هنا غداً.

جان (تلاحق ماولر بنظرها) هذا الرجل ليس سيئاً.
إنه أول من تخلصه طبولنا من براثن الحقارة،
لقد أصابه نداؤنا.

سليفت (مغادراً) أنصحك ألا تعرضي نفسك للشبهات
بمخالطة عمال المسالخ..
فهم قطيع من المنحطين، بل إنهم حثالة العالم.

جان أريد أن أرى هذهَ الحثالة.

• • •
• •
•

٤

[السمسار سوليفان سليفت يري جان مدى حقارة الفقراء]

[جولة جان الثانية في الحضيض]

[منطقة المسالخ]

سيلفت — سأريك الآن يا جان حقارة هؤلاء الذين تعطفين عليهم، وستسلمين أنهم لا يستحقون عطفك.

(يمشيان على طول جدار مصنع كتب عليه « ماولر وكرايدل، مصانع تعليب اللحوم ». اسم ماولر شطب بإشارة ضرب. يخرج من بوابة صغيرة رجلان. سليفت وجان ينصتان لحديثهما.)

رئيس مجموعة عمال — (للعامل الشاب) منذ أربعة أيام سقط في مرجل غلي اللحوم واحد من عمالنا اسمه لاكرنيدل، لم نستطع إيقاف الآلات بسرعة فانجرف بسرعة مريعة إلى سكاكين فرم الشحم، ها هي ثيابه وقبعته، خذها وتخلص منها. إنها تشغل مشجباً في الخزانة وتؤثر على العمال تأثيراً سيئاً. ينبغي أن تحرقها، فوراً. عهدت بها إليك لأنني أثق بك. سأفقد عملي، لو اكتشفت هذه الملابس في مكان ما. وحالما يفتح المصنع، سأعطيك إذا شئت مكان لاكرنيدل.

الشاب		يمكنك الاعتماد علي يا سيد سميث.
(يعود رئيس مجموعة العمال من البوابة الصغيرة.)

الشاب		أسفي على هذا الرجل الذي سيبعث إلى أربعة أطراف العالم لحماً معلباً. لكن سترته ما زالت جيدة، وهذا مؤسف أكثر. إن رفيقي «قطعة الشحم» لم يعد بحاجة إليها فهو يرتدي الآن علبة معدنية بدل الثياب. أما أنا فحاجتي ماسة إليها. اللعنة، سآخذها.
(يلبس ثياب لاكرنيدل ويلف ثيابه القديمة بورق جريدة.)

جان		(تترنح) أشعر أني سأتقيأ.

سليفت		هذا هو العالم على حقيقته. (يوقف الشاب) من أين لك هذه السترة وهذه القبعة؟
إنها ثياب لاكرنيدل الذي مات بالحادث.

الشاب		أرجوك يا سيدي، لا تخبر أحداً بهذا. سأخلعها فوراً. لقد تدهورت بسرعة. في العام الماضي أغرتني علاوة العشرين سنتاً التي يقبضها العامل في مستودعات الأسمدة الاصطناعية بالعمل في مطحنة العظام. وهناك خرجت بإصابة في الرئة والتهاب مزمن في العينين. بعد ذلك ضعفت قدرتي على العمل. ومنذ شهر شباط لم أجد عملاً إلا مرتين.

سليفت		احتفظ بالثياب واحضر ظهر اليوم إلى المطعم السابع. ستحصل على وجبة غداء ودولار إذا قلت للسيدة لاكريندل كيف حصلت على الثياب والقبعة.

الشاب		لكن ألا تجد هذا قاسياً يا سيدي؟

سليفت		نعم، ولكن إذا لم تكن بحاجة للثياب والوجبة والدولار!

الشاب		حسناً، يمكنك أن تعتمد عليَّ يا سيدي.
(جان وسليفت يتابعان سيرهما.)

السيدة لاكريندل (تجلس أمام بوابة المصنع وهي تنتحب.)

منذ أربعة أيام كاملة ذهب إلى العمل، قائلاً لي:
«جهزي الحساء وليكن ساخناً وقت العشاء»
لكنه لم يعد بعد ذلك.
أيها الجزارون، ماذا فعلتم بزوجي؟
أربعة أيام وأنا واقفة هنا في البرد،
وحتى في الليل، أنتظره.. لا أحد أخبرني شيئاً،
وزوجي لم يخرج من المصنع.
لكن اسمعوا: سأبقى واقفة هنا حتى أراه،
والويل لكم إن أصابه منكم مكروه.
(يقترب سليفت من السيدة.)

سليفت زوجك مسافر يا سيدة لاكريندل.

السيدة لاكريندل والآن تختلقون لي قصة السفر هذه!

سليفت أقول لك يا سيدة لاكريندل ان زوجك مسافر، ووقوفك هنا وأنت تهرفين بهذا الكلام الفارغ يضر بالمصنع. لذلك سنقدم لك عرضاً، رغم أن القانون لا يجبرنا على تقديمه:
إذا أوقفت بحثك عن زوجك فيمكنك أن تتناولي في مطعمنا وجبة غداء مجانية ولمدة ثلاثة أسابيع.

السيدة لاكرنيدل أريد أن أعرف ما جرى لزوجي.

سليفت أقول لك انه سافر إلى سان فرانسيسكو.

السيدة لاكرنيدل لم يسافر إلى سان فرانسيسكو، بل إن شيئاً قد أصابه في المصنع، وتريدون إخفاءه.

سليفت إن كنت تعتقدين ذلك يا سيدة لاكرنيدل، فلن يمكنك أن تقبلي أي طعام من المصنع، وإنما يجب عليك أن ترفعي دعوى ضد المصنع. لكن فكري بالأمر جيداً، وغداً يمكنك إذا أردت مقابلتي في مطعم المصنع.
(يعود سليفت إلى جان.)

السيدة لاكرنيدل أريد أن تعيدوا لي زوجي. ليس لدي من يعيلني سواه.

جان لن تحضر أبداً.
عشرون وجبة طعام قد تعني الكثير
بالنسبة لانسان جائع
لكن هناك دائماً ما هو أهم من الجوع بالنسبة له..

(جان وسيلفت يتابعان السير حتى يصلا إلى مطعم المصنع حيث يصادفان رجلين ينظران إلى الداخل عبر نافذة المطعم.)

غلومب ها هو الحارس يملأ كرشه. إنه المسؤول عن فقداني يدي في آلة مقص الصفيح. الخنزير يُعلف على حسابنا. لنحاول أن تكون هذه آخر وجبة يتناولها.. أعطني هراوتك، فلربما انكسرت هراوتي بعد الضربة الأولى.

سليفت (لجان) ابقي هنا. سأتحدث معه، وإذا حضر إليك أخبريه أنك تبحثين عن عمل. عندها ستكتشفين حقيقة هؤلاء البشر (يتجه نحو غلومب) يخيل إلي أنك ستتهور وتقدم على عمل طائش. قبل أن تفعل، سأقدم لك عرضاً مغرياً.

غلومب لا وقت لديَّ أيها السيد.

سليفت خسارة! كان يمكن أن تجني من عرضي بعض المكاسب.

غلومب قل واختصر. يجب ألا يفلت منا هذا الخنزير. سيدفع اليوم ضريبة هذا النظام اللاإنساني الذي يعمل فيه كلب حراسة.

سليفت لدي اقتراح يساعدك في محنتك. أعمل مفتشاً في هذا المصنع، وأرى أنه من المزعج أن يبقى مكان عملك على الآلة شاغراً. أغلب الناس يجدون في هذا العمل خطورة كبيرة، خاصة بعد الضوضاء الشديدة التي أثرتها من أجل أصابعك المقطوعة. طبعاً يستحسن أن نجد واحداً لهذا العمل. أنت مثلاً.. إذا وجدت لنا شخصاً ملائماً، فإننا على استعداد

لاعادة تعيينك فوراً ، بل سنعطيك عملاً أكثر دخلاً وأخف تعباً من عملك السابق. قد نعطيك منصب الحارس. فانطباعي عنك يؤهلك لهذا. وهذا الذي يجلس في الداخل بدأ يظهر في الفترة الأخيرة مكروهاً. أتفهمني؟ طبعاً عليك أن تحافظ على وتيرة الانتاج وقبل أي شيء آخر، عليك أن تجد كما قلت لك شخصاً يعمل على آلة قص الصفيح، اعترف أن المكان لا يتصف بالأمان، لكن، انظر، هناك فتاة تبحث عن عمل.

غلومب هل يمكن الاعتاد على ما تقوله يا سيد؟

سليفت نعم.

غلومب تلك الفتاة؟ تبدو لي ضعيفة البنية. وهذا العمل لا يناسب من يتعب بسرعة.

(يخاطب زميله) فكرت بالموضوع، سننهي أمره غداً مساء. فالليل أستر لمثل هذا المزاح. (وهو يتجه نحو جان) صباح الخير، أتبحثين عن عمل؟

جان نعم.

غلومب عيناك سليمتان؟

جان لا. في العام الماضي عملت على مطحنة العظام في مستودعات الأسمدة فأصبت في رئتيّ وبالتهاب مزمن في عيني. وأنا الآن دون عمل منذ شباط. أهو عمل جيد؟

غلومب نعم إنه جيد. ويمكن أن يقوم به حتى ضعفاء البنية مثلك.

جان أحقاً لا يمكن الحصول على عمل آخر؟ سمعت أن العمل على هذه الآلة خطير بالنسبة للذين يتعبون بسرعة. يتراخى انتباههم، فتعلق أيديهم بالشفرات، وتُفرم.

غلومب هذا كله كذب. ستدهشين حين ترين كم هو عمل مريح. عندها ستتساءلين كيف يمكن للناس أن يروجوا مثل هذه

الأخبار المضحكة عن تلك الآلة.

(يضحك سليفت ويسحب جان مبتعداً بها.)

جان — الآن بدأت أخاف من متابعة السير، فما الذي ستراه عيناي بعد!

(يدخلان المطعم ويريان السيدة لاكرنيدل تتحدث مع النادل.)

السيدة لاكرنيدل — (وهي تحسب) عشرون وجبة غذاء.. سيمكنني إذن.. ثم سأذهب و...

(تجلس إلى إحدى الطاولات.)

النادل — عليك أن تنصرفي إذ كنت لا تريدين تناول الغداء.

السيدة لاكرنيدل — أنتظر شخصاً سيحضر اليوم أو غداً. ما وجبة الغداء اليوم؟

النادل — بزالياء.

جان — ها هي تجلس هناك.

ظننت أنها قوية ستصمد، ومع هذا خشيت أن تأتي غداً، لكن ها هي تسبقنا وتجلس في انتظارنا.

سليفت — اذهبي واحضري لها الطعام بنفسك، فقد تتذكر وتغير رأيها.

(جان تحضر الطعام وتضعه أمام السيدة لاكرنيدل.)

جان — أجئت اليوم؟

السيدة لاكرنيدل — لم أذق طعاماً منذ يومين.

جان — لكن ما كنت تعلمين أننا سنأتي اليوم؟..

السيدة لاكرنيدل — صحيح.

جان — وأنا قادمة إلى المطعم سمعت من يقول أن زوجك أصابه حادث وأن المصنع هو المسؤول عن الحادث.

السيدة لاكرنيدل — هكذا، هل غيرتم الرأي وتراجعتم عن العرض الذي قدمتموه لي؟ هل يعني هذا أن لن أحصل على الوجبات العشرين؟

جان — سمعت انك كنت على وفاق مع زوجك، وقيل لي لا سند لك

سواه؟

السيدة لاكرنيدل نعم، منذ يومين لم أذق طعم الأكل.

جان ألا تريدين الانتظار حتى الغد؟ إذا أنت أوقفت البحث عن زوجك فلن يكون هناك من يسأل عنه. (السيدة لاكرنيدل تصمت) لا تتناولي هذا الطعام.

(السيدة لاكرنيدل تشد صحن الطعام من يد جان وتبدأ الأكل بشراهة.)

السيدة لاكرنيدل لقد سافر إلى سان فرانسيسكو.

جان والأقبية والمستودعات تختنق باللحم الذي لا يباع والذي بدأ يتفسخ
لأنه لا يوجد من يشتريه.

(من الخلف يدخل العامل الشاب لابساً ثياب وقبعة السيد لاكرنيدل.)

الشاب صباح الخير، أيمكنني أن آكل هنا؟..

سليفت ما عليك إلا أن تجلس إلى جوار تلك المرأة.

(الشاب يجلس. سيلفت يحدثه من الخلف)

قبعتك جميلة. (الشاب يخفيها) من أين حصلت عليها.

الشاب اشتريتها.

سليفت من أين اشتريتها؟

الشاب لم أشترها من دكان.

سليفت من أين إذن؟

الشاب من رجل سقط في مرجل غلي اللحوم.

(تشعر السيدة لاكرنيدل بأنها ستتقيأ فتقف وتسرع متجهة نحو الباب.)

السيدة لاكرنيدل (للنادل وهي خارجة) اترك الصحن في مكانه. سأعود. سآتي يومياً، وما عليك إلا أن تسأل هذا السيد. (تخرج)

سليفت طوال ثلاثة أسابيع ستأتي وتلتهم طعامها كالحيوان دون أن ترفع رأسها عن الصحن. هل رأيت يا جان. وضاعة هؤلاء الناس لا حد لها.

جان أما أنت فكم تتقن السيطرة على هذه الوضاعة،
وكم تتقن استغلالها.
ألا ترى أنه ليس لديهم سقف يحتمون به من شرورهم حين يهطل المطر.
لا شك أنها كانت تفضل كالكثيرين البقاء وفية لزوجها
وأن تستمر في البحث عنه كما يقضي الواجب فترة أخرى.
فهو سندها الوحيد.
لكن سعره كان مغرياً، إنه عشرون وجبة طعام.
وذلك الشاب الذي يمكن أن يعتمد عليه كل نصّاب،
هل تعتقد أنه سيعرض على زوجة الميت
ملابس زوجها لوكان بوسعه أن يختار؟
لكن السعر بدا له باهظاً.
والرجل الأكتع كان سيحذرني من مخاطر العمل
لولا الثمن الغالي الذي تكلفه هذه اللفتةُ الانسانية الصغيرة.
لهذا فضّل أن يبيع غضبه الذي كلفه غالياً،
مهما كان هذا الغضب عادلاً.
تقول: شرور هؤلاء الناس بلا حدود
لكن فقرهم أيضاً يتجاوز كل مقياس.
لم تُرِني شرور الفقراء، بل فقرهم..
أردتَ أن تريني شر الفقراء
وأنا أريك العذابات التي يتحملها هؤلاء الفقراء الأشرار.
إن بؤسهم البادي للعيان
ينقض الانحلال الذي يُعزى إليهم زوراً

٥

[جان تقدِّم الفقراء في بورصة المواشي]

[بورصة الماشية]

أصحاب م.ت نحن جميعاً، نتاجر باللحوم.
أيها المشترون، اشتروا معلباتنا!
لحم معلباتنا طازج وشهي.
شحوم ماولر وكرايدل!
فتايل عجل غراهام أطرى من الزبدة!
لحم غزلان كانتاكي الزهيدة الأسعار!

تجار الجملة وعلى المجرى ران صمت عميق،
كارثة الافلاس أصابت كل المشترين.

أصحاب م.ت بفضل التقدم الجبار الذي حققته التقنية،
وبفضل اجتهاد المهندسين وبعد نظر المستثمرين
استطعنا أن نخفض إلى الثلث
أسعار معلبات ماولر وكرايدل
وفتايل غراهام الأطرى من الزبدة
ولحم غزلان كانتاكي الزهيدة السعر.
اغتنموا الفرصة أيها المشترون
اشتروا.. اشتروا معلباتنا!

تجار الجملة وعلى ذرى الجبال ران صمت عميق..

أخفت مطابخ الفنادق وجوهها
وأدارت الحوانيت رؤوسها برعب
كذلك شحبت تجارة الوسطاء من المرض ،
ونحن التجار الآخرين نحس بالغثيان
حين نرى علبة لحم محفوظ .
معدة البلاد أتخمها اللحم المعلب
فلم تعد تطلب منه شيئاً .

سليفت — ماذا كتب لك أصدقاؤك في نيويورك؟

ماولر — نظريات . لو أصغينا إليها لتعين علينا حالياً
أن ندفع تجارة اللحوم إلى الانهيار . .
وأن نتركها تتهاوى في الكساد خلال أسابيع
بحيث لا يستطيع أحد أن يحرك ساكناً .
وأنا .! سأحمل كل اللحم على ظهري .
أي تخريف!

سليفت — سأضمك كثيراً ، إذا توصلوا في نيويورك
إلى تخفيض الرسوم الجمركية
وفتحوا الحدود الجنوبية أمام بضائعنا!
سترتفع الأسعار حينئذ .
أما نحن فسنكون قد ضيعنا الفرصة!

ماولر — حتى ولو سارت الأمور كما تقول :
أتجرؤ في مثل هذا الشقاء على اقتطاع حصتك ،
بينما يراقبونك بعيون ثاقبة ليروا ماذا تفعل؟
أنا شخصياً لا أجرؤ .

تجار الجملة — ها نحن تجار الجملة ، أمامنا جبال من المعلبات .
والثلاجات تختنق باللحوم المتجلدة .
نريد أن نبيع لحم البقر المحفوظ ، وما من مشترٍ .

كل زبائننا من مطابخ وبقاليات، متخمون بالمعلبات،
يصرخون منادين على بضاعتهم، وما من مستهلك يجيب.
لن نشتري شيئاً بعد الآن.

أصحاب م.ت وماذا نفعل نحن أصحاب معامل التعليب، مع مسالخنا؟
مراعينا تزدحم فيها الثيران، واسطبلاتها أيضاً.
والآلات تشتغل ليل نهار بأقصى طاقتها.
أجهزة التمليح، ورش الزيت، ومراجل الغلي..
كلها تعمل ، لتحوّل إلى معلبات..
هذه القطعان التي تخور في البراري وهي تجتر علفها.
لكن ليس هنا من يطلب معلباتنا.
لقد أفلسنا!

مربو المواشي ونحن مربي المواشي من سيشتري مواشينا بعد الآن؟
اسطبلاتنا مملوءة بالعجول والخنازير، علفها الذرة الغالية..
ونحن نعلفها في القطارات التي تحملها.. وفي المحطات
والمجمعات المأجورة، مبددين أموالنا وحبوبنا.

ماولر حتى السكاكين ترفض مواشيكم،
أدار الموت لها ظهره، وأقفل دكانه.

أصحاب م.ت (يقذفون بالشتائم ماولر الذي يقرأ جريدته.)
أيها الخائن، يا غراب البين، إنك تدنس عشنا.
أتظن أننا لا نعرف من يبيع المواشي هنا سراً،
ويخفض السعر تخفيضاً مدمراً؟
إن هذه التجارة السوداء ليست بنت اليوم.

ماولر ما أنتم إلا حفنة من الجزارين الصفيقين!.
كفَّ الحيوان البائس عن الخوار المتألم،
وأنتم تبكون في حجور أمهاتكم..
اذهبوا إلى بيوتكم وقولوا

إن واحداً منكم لم يعد يتحمل خوار الثيران المذبوحة.
أسهل عليه أن يسمع خواركم على أن يسمع خوارها!
لهذا أريد مالي وراحة بالي.

أحد السماسرة (يصرخ من مدخل البورصة في العمق)
انهيار كبير في سوق البورصة، والأسهم تباع بالجملة.
إن كرايدل شريك ماولر السابق
يجر معه في سقوطه كل أصحاب مصانع التعليب.
(تجري بين أصحاب مصانع التعليب حركة غاضبة عاصفة
ويهجمون على كرايدل الذي أصيب بشحوب الموت.)

أصحاب م.ت ما معنى هذا يا كرايدل. ارفع عينيك، وانظر إلينا.
أفي مثل هذا الوقت تطرح أسهمك للبيع؟

السماسرة السهم بمائة وخمسة عشر!

أصحاب م.ت أجننت؟
إنك تجر معك الكثيرين إلى الموت.
حثالة! مجرم!

كرايدل (يشير إلى ماولر) عليكم به فهو المسؤول!

غراهام (يقف بينهم وبين كرايدل)
كرايدل ليس مسؤولاً عما يحدث،
هناك من يلقي الشبكة ونحن السمك في الماء.
ما يريدون هدمه هو اتحاد شركة اللحوم.
وهؤلاء الناس لا تنقصهم الحنكة حين يدبرون أمراً.
هيا يا ماولر، قل ما لديك!

أصحاب م.ت (لماولر) هناك اشاعة يا ماولر
بأنك سحبت أموالك من كرايدل
الذي كان وضعه يتأرجح،
وكرايدل نفسه يلوذ بالصمت

ويشير بإصبعه إليك.

ماولر	كرايدل نفسه، هو الذي اعترف لي
بأن وضعه المالي ميئوس منه.
لو تركت أموالي بين يديه ساعة واحدة أخرى
من كان منكم سيحترمني بعد كتاجر؟
وأنا لا أريد أي شيء آخر
سوى احترامكم لي.

كرايدل	(للواقفين حوله) قبل اقل من أربعة أسابيع عقدت اتفاقاً مع ماولر. أراد أن يبيعني حصته التي تشكل الثلث من قيمة المصانع بعشرة ملايين دولار. ومنذ ذلك الحين كما عرفت للتوّ بدأ سراً يجر الأسعار المتدهورة أصلاً نحو مزيد من التدهور. وذلك حين طرح في السوق كميات كبيرة من المواشي بأسعار رخيصة. كان باستطاعته أن يطلب مني أمواله متى شاء. وكنت أنوي تسديد حسابه بأن أطرح في السوق جزءاً من أسهمه التي كانت أسعارها مرتفعة، وأطلب قرضاً عن الجزء الآخر. لكن تدهور الأسعار فاجأني. إن حصة ماولر لا تساوي اليوم سوى ثلاثة ملايين، لا عشرة. والمصانع كلها لا تساوي الآن إلا عشرة ملايين بدلاً من الثلاثين، وهي تماماً الملايين العشرة التي أدين بها لماولر والتي يطالبني بسدادها خلال أربعة وعشرين ساعة.

أصحاب م.ت	عندما تتصرف مع كرايدل بهذه الصورة وهو ليس صهرنا أو قريبنا، فإن العملية تؤثر علينا نحن أيضاً. لقد دمرت التجارة كلها، ومعلباتنا صارت أرخص من التراب. لأنك حين أردت إفلاس لنوكس أغرقت السوق بالمعلبات الرخيصة..

ماولر	ولماذا ذبحتم كل هذه المواشي أيها الجزارون المتهورون!

الآن أريد أموالي!
حتى لو تحولتم جميعاً إلى شحاذين يجب أن أحصل على أموالي!
لدي مشاريع أخرى.

مربو المواشي لنوكس سقط! وكرايدل يتأرجح! وماولر يسحب كل أمواله!

صغار المضاربين ونحن صغار المضاربين، لا أحد يفكر بنا!
إن من لا يستطيع سوى الصراخ
وهو يرى تصدع الصرح العملاق
لن يرى على من ستسقط حجارته عندما ينهار.
ماولر، أين أموالنا!

أصحاب م.ت ثمانون ألف علبة بخمسين، ولكن بسرعة!

تجار الجملة ولا علبة واحدة!

(صمت. تسمع طبول القبعات السود، وصوت جان)

صوت جان بيربون ماولر! أين ماولر؟

ماولر ما هذه الطبول؟
ومن يناديني باسمي
في هذا المكان الذي يكشِّر فيه الجميع عن نيوب ملطخة بالدم؟

(تظهر مجموعة القبعات السود وتبدأ بإنشاد أغنية النضال)

القبعات السود (يغنون)
اصغوا جميعاً.. اصغوا إلينا!
رجل يغرق أمام أبصارنا..
وهناك استغاثة تتناهى إلينا..
إنها امرأة تلوح لنا تلويحة يائسة.
أوقفوا السيارات! عطلوا المرور!
حولكم بشر يغرقون، وليس من يبالي بهم.
هل عميت أبصاركم؟.

هـ أنت.. إنه أخوك، لا أي شخص كان.
انهضوا عن موائدكم
هل نسيتم أن الكثيرين يقفون على أبوابكم
وينتظرون ما يسد رمقهم؟..
أسمعكم تقولون: هذا هو حال الدنيا دائماً، والظلم سيسود العالم أبداً. لكننا نقول لكم:على البشر أن يسيروا وألا يبالوا إلا بتقديم العون للجار.
سنجهز الدبابات وننصب المدافع،
سنقود الطائرات في السماء
والسفن الحربية في البحر
كي ننتزع لك أيها الفقير صحن حساء.
أنتم يا من تصغون إلينا..
لا تنتظروا إلى الغد.
وعلى كل منكم أن يساعدنا.
فالطيبون من الناس
ليسوا جيشاً كبيراً
هيا تقدموا! احملوا بنادقكم، واهجموا!
أمام أبصاركم بشر يغرقون، وليس من يبالي بهم..
(خلال ذلك تستمر مذبحة البورصة. وبالتدريج يقوى ويتقدم نحو الأمام ضحك متصاعد تستدعيه النداءات التالية:)

أصحاب م.ت سبعة وثمانين ألف علبة بنصف السعر، ولكن بسرعة!

تجار الجملة ولا علبة واحدة!

أصحاب م.ت لقد انتهينا إذن يا ماولر.

جان أين ماولر؟

ماولر لا تتركني الآن يا سليفت
غراهام، مايرز، قفا أمامي.

لا أريد أن يراني أحد هنا.

مربو المواشي	في شيكاغو يستحيل بيع عجل واحد
وهذا اليوم بالنسبة لولاية إلينويز كارثة حقيقية.
رفعتم الأسعار، ودفعتمونا لتربية الثيران
وها نحن، مع ثيراننا التي لا يريد أحد أن يشتريها.
أيها الكلب ماولر، إنك المسؤول عن هذه المصيبة.

ماولر	كفى حديثاً عن التجارة!
ناولني قبعتي يا غراهام، إذ ينبغي أن أمضي.
مائة دولار لمن يناولني قبعتي.

كرايدل	عليك اللعنة. (كرايدل يخرج)

جان	(خلف ماولر) ابق هنا يا سيد ماولر واستمع لما سأقوله لك!
وبوسع الجميع أيضاً أن يستمعوا إليَّ. هدوءاً!
لا يناسبكم طبعاً أن نظهر نحن القبعات السود هنا في أوكاركم الخفية المظلمة حيث تزاولون تجارتكم. لقد قيل لي سابقاً ما تفعلونه هنا، أعرف أنكم بالحيل والأساليب الملتوية ترفعون أسعار اللحم باستمرار. لكنكم تخطئون إذا اعتقدتم أن هذه الأفعال لن يذاع سرها، سواء الآن أو يوم الحساب، ذلك اليوم، حين تنفجر الحقيقة ساطعة، وتمثلون أمام ربنا وشفيعنا، ماذا ستجيبون، حين يسألكم، وبصره الثاقب يسمّركم: أين ثيراني؟ ماذا فعلتم بها؟ هل قدمتموها لكل الناس بأسعار معتدلة؟ وإلا فماذا حل بها؟ يومئذ إذا وقفتم مرتبكين تبحثون عن أعذار ملتوية كالتي تطبعونها في صحفكم التي لا تنشر الحقيقة، فإن ظهوركم ستنشق، ويعلو منها خوار الثيران التي أخفيتموها في الاسطبلات كي ترفعوا أسعارها. أمام الرب العلي القدير، سيكون هذا الخوار الشهادة على سوء أفعالكم.

(ضحك)

مربو المواشي نحن مربي المواشي لا نجد في قولها ما يضحك،
فاعتادنا على الطقس صيفاً وشتاءً
يجعلنا أقرب منكم إلى الإله الطيب

جان وإليكم هذا المثال. لنفرض أن شخصاً قام ببناء سد في وجه المياه الجارفة، واستخدم ألف عامل في بنائه، وكان أجره مليون دولار. لكن السد سرعان ما تصدع، ففاضت المياه وأغرقت كل الذين عملوا في السد وكثيرين معهم - فكيف تصفون هذا الانسان الذي يبني مثل هذا السد؟ قد تقولون انه تاجر، أو انه حقير، أما نحن فنقول لكم: إنه غبي. وانتم يا من ترفعون أسعار الخبز وتحولون الحياة إلى جحيم ينقلب البشر فيه شياطين، فإنكم جميعاً بلهاء، أغبياء أخِسَّاء، ولا شيء آخر.

تجار الجملة (يصرخون) بسبب مضارباتكم المتهورة، وجشعكم القذر،
فإنكم تدمرون أنفسكم، أيها الأغبياء!

أصحاب م.ت بل أنتم الأغبياء.
لا أحد يستطيع أن يفعل شيئاً أمام الأزمات.
فقوانين الاقتصاد الغامضة تحوِّم فوق رؤوسنا كالقدر الغاشم.
إن الأزمات كوارث طبيعية، تضربنا في دورات متقلبة.

مربو المواشي ماذا؟.. تخنقوننا، وتقولون لا أحد يستطيع شيئاً؟
إن سبب مصائبنا هو انحطاط ألاعيبكم الماكرة.

جان وما سبب وجود هذا الشر في العالم؟ كيف يمكن لهذا الوضع أن يتغير؟ طبعاً، إذا كان كل منا سيشق رأس جاره بالفأس لينتزع منه لقمته ويسد بها جوعه؛ وإذا كان الأخ سيشاجر أخاه على أشد الحاجات ضرورة، فكيف تريدون ألا يختنق في

صدور البشر كل إحساس بالقيم السامية؟ حاولوا أن تعاملوا جاركم كما تعاملون أحد زبائنكم! وقتها ستفهمون جوهر الانجيل، وستدركون أن فيه كل الحداثة وكل ما يناسب عصرنا. خذوا مثلاً كلمة: خدمة! ترى هل تعني شيئاً آخر سوى حب الجار؟ أقصد عندما نفهمها على حقيقتها. أيها السادة، أسمعكم دائماً تقولون إن الفقراء تنقصهم الأخلاق؛ وهم كذلك فعلاً. ففي الأحياء الفقيرة تعشش الرذيلة الخالصة، وبالتالي تعشش الثورة.

إني أسألكم: من أين للفقراء بالأخلاق إذا كانوا لا يملكون أي شيء؟ نعم.. كيف يمكن أن يحصلوا على شيء إلا إذا سرقوه؟.. أيها السادة، هناك أيضاً ما يسمى بالقدرة الشرائية الفاضلة. ارفعوا قدرتهم الشرائية، يعطوكم أخلاقاً وفضيلة. وأنا أعني بالقدرة الشرائية هذا الشيء البسيط والطبيعي: المال، الأجر. وهذا يقودني إلى نقطة عملية: إذا تابعتم على هذا المنوال فستجبرون في آخر المطاف على التهام لحومكم، لأن الفقراء في الخارج لا يملكون أي قدرة على الشراء.

مربو المواشي (بصوت مليء بالاتهام) ها نحن هنا مع عجولنا، وليس هناك من يشتريها.

جان ولكن أنتم، أيها السادة العظام الذين تجلسون في هذا القصر، متخيلين أن مناوراتكم لن تفضح، لا تريدون أن تعرفوا شيئاً عن البؤس الذي يتظاهر في العالم خارج هذه القلعة. انظروا إليهم.. انظروا ماذا فعلتم بهؤلاء الناس الذين ترفضون الاعتراف بأنهم اخوتكم. وأنتم، أيها المكدودون تحت وطأة الشقاء، تقدموا في وضح النهار، ولا تخجلوا.

(جان تعرض الفقراء الذين أحضرتهم معها أمام رجال

(البورصة)

ماولر (يصرخ) أبعدوهم. (يسقط مغمياً عليه)

صوت (من الخلف) بيربون ماولر فقد وعيه.

الفقراء إنه المسؤول عن كل ما حدث.

(أصحاب م.ت يعتنون بماولر)

أصحاب م.ت ماء لبيربون ماولر! طبيب لماولر!

جان ماولر، أريتني شرور الفقراء
وأنا أريك الآن فقرهم..
هؤلاء الذين تبعدهم عنك،
فيُبعدُ عنهم كل ما هو ضروري للحياة،
هؤلاء الذين لا تراهم، لكنك تفرض عليهم بؤسهم.
إنهم موهنون، يستحوذ عليهم البحث عن لقمة كفاف،
ونفحة دفء،
وكلتاهما بعيدتا المنال.
إن هذه الحياة الزرية تبعدهم عن التطلع إلى المُثل
وتنحدر بهم إلى الدرك الحيواني، والشراهة المفترسة.

(ماولر يستعيد وعيه)

ماولر أما زالوا هنا؟ أرجوكم، أبعدوهم

أصحاب م.ت من؟ القبعات السود؟ أتريد أن تصرفهم؟

ماولر لا، بل هؤلاء الذين يقفون وراءهم.

سليفت لن يفتح عينيه قبل أن يخرجوا.

غراهام ما هذا، ألا تستطيع رؤيتهم؟ ومع هذا فأنت نفسك من ألقاهم إلى هذا البؤس. لا يكفي الآن أن تسدل جفنيك حتى يختفوا.

ماولر رجاءً، أخرجوهم! سأشتري..
أصفوا جميعاً إلي: بيربون ماولر يشتري!

ليحصل هؤلاء على عمل. وليبتعدوا.
سأشتري كل ما تنتجونه من معلبات خلال ثمانية أسابيع.

أصحاب م.ت لقد اشترى! ماولر اشترى!

ماولر بسعر اليوم

غراهام (يوقفه) والموجود في المستودعات؟

ماولر (مستلقاً على الأرض) أشتريه

غراهام بخمسين؟

ماولر بخمسين.

غراهام أسمعتم ما قال؟ لقد اشترى كل ما لدينا من معلبات.

سماسرة (ينادون عبر الميكرفونات من العمق) بيربون ماولر يدعم سوق اللحم. إنه يشتري بسعر اليوم كل البضائع المكدسة في المستودعات. أكثر من ذلك، اشترى انتاج شهرين بدءاً من اليوم، بخمسين أيضاً. في الخامس عشر من تشرين الثاني ستسلم المصانع لبيربون ماولر ما يقارب الثانين ألف طن من المعلبات.

ماولر والآن أرجوكم أيها الأصدقاء، احملوني بعيداً عن هذا المكان.
(البعض يحمله ويخرج به)

جان هيا، اجعلهم يحملونك بعيداً الآن!
إننا نكدح في عملنا التبشيري كالبغال وراء المحراث،
وأنتم هناك في الأعلى تقومون بمثل هذه الأفعال!
جعلتهم يقولون لي: يجب ألا أفتح فمي بحرف،
لكن من أنت لتكتم فم الإله الطيب!؟
لا يحق لك أن تمنع انساناً من الكلام،
حتى فم العجل في الحقل لا يحق لك أن تكتمه.
وأنا سأتكلم في كل الأحوال.
(للفقراء) يوم الاثنين ستحصلون على عمل.

الفقراء — في حياتنا لم نر مثل هؤلاء الناس. لكننا رأينا أمثال الرجلين اللذين كانا يقفان بجانبه، وهما أشد سوءاً منه.

جان — والآن قبل أن نذهب، لنغن نشيد « لن يعوزنا الخبز أبداً! »

القبعات السود — هذا الذي كرس حياته للرب
لن يعوزه الخبز أبداً.
هؤلاء الذين يعتصمون بحبله
لن يعرفوا الشقاء أبداً.
وفي كنف الرب لا يدهمهم البرد
ولا يقاسون من الجاعة أبداً.

تجار الجملة — لقد فقد الرجل عقله!
معدة البلد متخمة باللحم المعلب،
فلم تعد تطلب منه شيئاً.
وهو يريد حشو اللحم في المعلبات
التي لن تجد مستهلكاً واحداً يشتريها.
اشطبوا اسمه!

مربو المواشي — والآن هيا، ارفعوا الأسعار أيها الجزارون الأنذال!
إذا لم تضاعفوا سعر المواشي فلن تحصلوا منا
على غرام واحد، وأنتم المحتاجون.

أصحاب م.ت — احتفظوا ببضاعتكم القذرة، لن نشتري شيئاً. فالعقد الذي أبرم أمامكم ليس سوى حبر على ورق. الرجل الذي أبرمه لم يكن في كامل قواه العقلية. ولن يحصل من هذه الصفقة على سنت واحد من سان فرانسيسكو حتى نيويورك. (ينصرفون)

جان — كل الذين يهتمون حقاً بكلام الرب، ويريدون فعلاً أن يعرفوا - لا ما تقوله نشرة البورصة فقط - بل ما يقوله الرب أيضاً، ولا بد أن يكون بينكم أناس مستقيمون يمارسون تجارتهم وخشية الرب نصب أعينهم، وهؤلاء لا اعتراض لنا عليهم

أبداً. كل الذين يهمهم أن يسمعوا كلام الرب، يمكنهم بعد ظهر يوم الأحد الحضور إلى قداسنا في شارع لينكولن الساعة الثانية. تبدأ الموسيقى الساعة الثالثة، والدخول مجاناً.

سيلفت (لمربي المواشي) عندما يعد بيربون ماولر بشيء فهو يفي بوعده.

فتنفسوا الصعداء، إذ يجب على السوق الآن أن يسترد صحته.

أنتم يا من تصنعون الخبز كي تحصلوا على الخبز.. اصغوا إليَّ:

أخيراً تم تجاوز المحنة

بعد أن تهددت وحدتنا والثقة بيننا.

سيفتح أرباب العمل مصانعهم،

وسيعود العمال إليها.

لقد انتصرت الحكمة على الجهالة،

وهذا القرار الحكيم، تلقاه الجميع بالرضى.

ستفتح المصانع بواباتها، وتنفث المداخن دخانها،

لأن ما يحتاجه الفريقان، أرباب العمل، والعمال،

هو العمل.

مربو المواشي (يرفعون جان ويضعونها على الدرج)

لقد أثَّر خطابك وظهورك بيننا أبلغ الأثر في نفوسنا..

كذلك نفذت كلماتك إلى أفئدة الكثيرين منا..

فنحن مربي المواشي، نعيش بدورنا في بؤس مريع.

جان أتعلمون! سأركز اهتمامي على ماولر،

لأن ضميره بدأ يصحو.

إذا كنتم في عوز حقيقي

تعالوا نبحث عنه، لينتشلكم من مصاعبكم.

علينا ألا ندعه يخلد للراحة،
ما دام هناك انسان يحتاج إلى مساعدة
انه يستطيع أن يقدم العون،
وما علينا إلا أن نحاصره.
(جان وأفراد القبعات السود يغادرون المكان، يتبعهم مربو المواشي.)

• • •
• •
•

٦

[صيد الجداجد]

[في المدينة]

[بيت السمسار سوليفان سليفت وهو بيت صغير ذو مدخلين]

ماولر (داخل البيت يتحدث مع سليفت)
أغلق الباب بالمزلاج ، اشعل جميع الأنوار ، والآن يا سليفت
تمّعن في وجهي وأخبرني إن كانت ملامحي تنبىء بها؟

سليفت ما هي؟

ماولر مهنتي طبعاً.

سليفت مهنة الجزار؟ . قل لي يا ماولر.. لماذا أغمي عليك وأنت
تسمع كلامها؟..

ماولر وماذا قالت؟ لم أسمع شيئاً
فوراءها كانت تتلامح وجوه غريبة رهيبة ،
وجوه كأقنعة الفاقة ، تزفر غضباً
ستكنسنا جميعاً.
لهذا لم أر شيئاً آخر.
والآن سأطلعك يا سليفت على رأيي الحقيقي بأعمالنا :
لا يمكن أن نواصل ما نفعل..

أي أن نشتري ونبيع، ويسلخ كل منا جلد الآخر،
ناسين كل شيء آخر..
هذا كله ما عاد ممكناً أن يستمر.
الذين يئنون تحت وطأة الفاقة كثير عددهم،
ويوماً بعد يوم ستزداد أعدادهم.
ما من عزاء.. بالنسبة لهؤلاء الذين ينزفون في أقبيتنا،
فإذا تمكنوا منا ذات يوم،
سيرموننا على قارعة الطريق كالجيف المنتنة.
نحن كلنا، لن نموت موتاً طبيعياً.
ولكي يطهّروا هذا العالم،
سيصفّون طبقتنا زمرة زمرة.

سليفت: لقد أربكوا تفكيرك. (جانباً مخاطباً نفسه) ها هو ضعفه القديم يعاوده.. سأجبره على أكل قطعة ستيك نصف نيئة.
قد يستعيد صفاءه بعد أن يتناول قطعة اللحم.
(يذهب ويقلي له على موقد غازي قطعة ستيك)

ماولر: غالباً ما أسأل نفسي: لماذا تؤثر بي هذه الحماقات؟
خطب طوباويية، وصيغ محفوظة وثرثرة فارغة..
بالتأكيد لأن هؤلاء يمارسون مهنتهم مجاناً.
وهم يعملون، متحملين المطر والجوع،
ثماني عشرة ساعة في اليوم.

سليفت: في مثل مدننا،
حيث تتقد النار في الأحشاء،
بينما ينفذ الصقيع إلى الذين فوق،
هناك دائماً بعض الثرثارين
الذين يجدون أن الأمور لا تسير كما يجب.

ماولر: ولكن ماذا يقولون؟.. هذه المدن جمر لا يخبو أبداً.

وفيها تتهاوى الانسانية على مرّ السنين ،
كالسيل الداوي . .
وعندما ينبثق من هذا السيل صوت مجنون ،
لكنه ليس بهيمياً ،
أشعر أن عصا غليظة تهوي على عمودي الفقري .
لا يا سليفت ، هذا أيضاً مجرد ذريعة .
ما أخشاه حقاً ، ليس الله ، بل شيئاً آخر .

سليفت ما هو؟

ماولر أخشى الذين يعيشون تحتي ، لا فوقي . .
هؤلاء المكومين في المسالخ
الذين لا يعرفون في الليل طعم الراحة ،
ومع هذا ينهضون في الفجر فيبدأون الكد .

سليفت عزيزي بيربون ، ألا ترغب بتناول قطعة من اللحم؟ بوسعك الآن أن تعاود أكل اللحم مرتاح الضمير ، لأنه لم تعد لك بعد اليوم علاقة بذبح العجول .

ماولر أتظن انه ضروري؟ ربما استطعت تناوله ، لا بد أنني أستطيع الآن ، أليس كذلك؟

سليفت كُلْ شيئاً وفكر بوضعك ، فهو ليس على ما يرام . أتعلم أنك اشتريت اليوم كل اللحم المعلب؟ يا عزيزي ماولر ، يستغرقك تأمل العظمة في ذاتك ، لهذا أسمح لي أن أصور لك الوضع ببساطة ، مهما كان هذا الوضع خارجياً وضئيل الأهمية .
أولاً اشتريت من مستودعات سوق اللحم ثلاثمائة ألف قنطار . وخلال الأسابيع القادمة عليك أن تطرح هذه الكمية في السوق التي لا تستطيع اليوم ابتلاع علبة واحدة . دفعت بها خمسين . لكن في أحسن الأحوال ، سيهبط السعر إلى

الثلاثين. وفي الخامس عشر من شهر تشرين الثاني عندما يرسو السعر على الثلاثين أو الخمسة وعشرين، سيسلمك سوق اللحم ثمانمائة ألف قنطار.

ماولر: سليفت، لقد ضعت! انتهيت!
أنا اشتريت لحماً!
آه يا سليفت، ما الذي فعلته؟!
كوّمت فوق رأسي لحم العالم كله
وبدأت أتعثر بحملي مثل أطلس.
إن حمل هذه القنطارات من المعلبات سيقصم ظهري.
هذا الصباح كان الكثيرون من منافسيَّ يترنحون..
وأنا ذهبت لأتفرج على سقوطهم، وأسخر منهم قائلا:
ما من شخص مهما بلغ جنونه يمكن أن يشتري لحماً معلباً.
لكن حالما وصلت إلى هناك ناداني هاتف باطني:
« ستشتري كل شيء »
وفعلاً اشتريت يا سليفت. لقد ضعت.

سليفت: ماذا نصحك أصدقاؤك في نيويورك؟

ماولر: كتبو أنه ينبغي علي أن أشتري اللحم.

سليفت: ينبغي ماذا؟

ماولر: أن أشتري اللحم.

سليفت: وها أنت قد اشتريت.

ماولر: صحيح، لقد اشتريت اللحم.
لكن لم أشتره بسبب الرسالة،
فما كتبوه ليس صحيحاً،
ولا يعدو نظريات مكاتب.
لا، لم تُملِ عليَّ تصرفي دوافع دنيئة.
تلك الفتاة هي التي هزتني..

أما الرسالة فأقسم لك أني لم ألق عليها إلا نظرة خاطفة،
حين وصلتني هذا الصباح من نيويورك. هي ذي: «عزيزنا
بيربون...»

سليفت (يتابع القراءة) «يمكننا أن نخبرك اليوم بأن أموالنا بدأت
تعطي ثمارها. كثيرون في المجلس سيصوتون ضد الرسوم
الجمركية. لذا يبدو مستحسناً يا عزيزنا بيربون أن تشتري
اللحم. سنرسل لك غداً مزيداً من الإيضاحات.»

ماولر ينبغي ألا تنتشر الرشوة بهذه الطريقة،
لأنها تقود بسهولة إلى اندلاع الحروب،
فتهرق دماء الآلاف بسبب هذه الأموال القذرة.
آه يا عزيزي سليفت،
أشعر أن هذا الخبر لا يحمل إلينا الخير.

سليفت هذا يتعلق بالذين كتبوا الرسالة. فليس أي إنسان بقادر على
أن يرشو أو أن يرفع الحواجز الجمركية أو يشعل الحروب.
أهم أناس طيبون؟

ماولر إنهم موسرون.

سليفت ومن هم؟
(ماولر يبتسم)

سليفت إذن يمكن أن ترتفع الأسعار رغم كل شيء؟
وفي هذه الحالة سننجو من خسارة محققة.
المخرج معقول. لكن يبقى اللحم
الذي سيطرحه في السوق
مائة من مربي المواشي الجشعين.
وهذا سيؤدي إلى تدهور الأسعار ثانية.
حقاً لم أفهم معنى هذه الرسالة يا ماولر.

ماولر تصور الوضع كالتالي:

يرتكب أحدهم سرقة، فيباغته شخص آخر، ويمسكه.
ينتهي السارق إذا لم يقتل معتقله..
اما إذا قتله فينجو..
وهذه الرسالة «الخاطئة»
تتطلب كي تصبح «صحيحة»
جريمة مشابهة.

سليفت: أية جريمة؟

ماولر: فعل شائن لا أستطيع أن أقترفه.
لأني أريد بعد اليوم أن أعيش بسلام.
فليربحوا من جريمتهم ما استطاعوا..
وهو دون ريب ربح مجزٍ..
إن العملية سهلة جداً.
ينبغي شراء كل المواشي المتوفرة في السوق..
لذلك علينا أن نقنع مربي المواشي
بأن كميات اللحم المتوفرة حالياً تفيض عن الحاجة،
لا سيا بعد إغلاق مصانع لنوكس.
ثم نشتري منهم كل مواشيهم..
هذا هو المهم.. شراء كل المواشي.
لكن في هذه الحالة،
ستدور الدائرة على مربي المواشي.
لا، لا أريد أن تكون لي أية علاقة بهذا.

سليفت: ما كان عليك أن تشتري اللحم يا بيربون!

ماولر: صحيح.. الوضع سيء يا سليفت.
لن أشتري لنفسي قبعة جديدة أو حذاء،
قبل أن أخلص من حمأة هذه التجارة.
وسأكون سعيداً إذا نفضت يدي منها..

وفي جيبي مائة دولار.

(طبول. تدخل جان بصحبته مربي المواشي وبعض العمال)

جان: سنخرجه من وكره كما نفعل حين نصطاد الجداجد. تربصوا به هناك، فعندما يسمعني أغني هنا، سيحاول الخروج من الطرف الآخر، كي يتجنب مقابلتي. إنه لا يحب رؤيتي كثيراً. (تضحك) ولا رؤية الذين يصحبونني.

(مربو المواشي يقفون عند الباب الأيمن)

جان: (أمام الباب الأيسر) يا سيد ماولر، اخرج إليَّ، أريد أن أحدثك عن بؤس مربي المواشي في ولاية إلينويز. معي أيضاً بعض العمال الذين يريدون أن يسألوا متى ستعيد فتح مصنعك.

ماولر: سليفت، أين المخرج الآخر؟ لا أريد أن أراها، أو أرى الذين يصحبونها. حالياً لن أفتح مصنعي.

سليفت: تعال من هنا.

(يتجهان من الداخل نحو الباب الأيمن)

مربو المواشي: اخرج يا ماولر، انك المسؤول عن محنتنا، ونحن أكثر من عشرة آلاف مربي ماشية في إلينويز، ما عدنا نعرف كيف نتصرف. اشترِ منا ماشيتنا.

ماولر: أغلق الباب يا سليفت!. لن أشتري.
أأشتري مواشي المريخ
أنا الذي يحمل على ظهره كل لحوم العالم المعلبة؟.
هـذا.. كمن يقول لأطلس الـذي ينوء تحت ثقـل الكرة الأرضية
إن عطارد هو الآخر يحتاج إلى عتال.
من سَيشتري مني كل هذه المواشي؟

سليفت: لا أعرف إلا غراهام.. فمصانعه بحاجة ماسة إلى المواشي.

جان لن نذهب من هنا حتى تساعد مربي المواشي.

ماولر هل قلت لغراهام؟ فعلاً، إن مصانعه تحتاج للمواشي. اخرج إليهم يا سليفت! وقل لهم أن يتركوني دقيقتين لأفكر.

(سليفت يخرج)

سليفت (لمربي المواشي) سينظر بيربون ماولر في طلبكم، وهو يرجوكم أن تمهلوه دقيقتين ليفكر. (يعود سليفت لداخل البيت)

ماولر لن أشتري. (يبدأ بإجراء بعض الحسابات) سليفت، سأشتري. احضر لي كل ما يشبه من قريب أو بعيد خنزيراً أو ثوراً، أو كل ما له رائحة دهن، وسأشتريه. سأشتري كل شيء، كل ما فيه شحم، ولكن بسعر اليوم، أي بخمسين.

سليفت قلت يا ماولر انك لن تشتري حتى قبعة لك، لكن ها أنت تشتري كل مواشي إلينويز

ماولر نعم، سأشتريها كلها. اتخذت قراري يا سليفت.

افترض التالي: (يكتب على خزانة حرف أ)

شخص انقاد مع مشاعره فاقترف عملاً خاطئاً، «أ» عمل خاطىء

ثم اقترف بعدئذ عمل «ب»، وهو أيضاً خاطىء مثل «أ»

لكن «أ» و «ب» يشكلان معاً عملاً صائباً.

ادخل مربي المواشي، فهم أناس طيبون.

يقتّرون على أنفسهم، لكن ملابسهم نظيفة.

وهم ليسوا كأولئك الذين يبعثون الرعب في نفسك، حين تلمحهم.

سليفت (يخرج ويخاطب مربي المواشي)

في سبيل انقاذ ولاية إلينويز، والحيلولة دون خراب المزارعين ومربي المواشي قرر بيربون ماولر أن يشتري جميع المواشي المطروحة في السوق، لكن يجب ألا تسجل العقود

باسمه، إذ أنه لا يريد أن يذكر اسمه.

مربو المواشي يعيش بيربون ماولر، منقذ تجارة المواشي.

(يدخلون البيت)

جان (تصيح وهم يدخلون) أخبروا السيد ماولر أننا معشر القبعات السود نشكره باسم الرب. (للعمال) إذا كان من يشتري المواشي ومن يبيعها راضين، فهذا يعني أن الخبز سيتوفر لكم من جديد.

• • •
• •
•

٧

[طرد التجارّ من المعبد]

مقر القبعات السود]

(أفراد القبعات السود يجلسون إلى مائدة طويلة ويعدون ما جمعوه في أوعيتهم المعدنية من صدقات للأرامل واليتامى.)

القبعات السود (يغنون)

اجمعوا وأنتم تغنون قروشاً للأرامل واليتامى
فبؤسهم عظيم،
لا سقف يأويهم، ولا كسرة خبز تسد رمقهم..
لكن الرب العلي القدير
لن يتخلى عنهم أبداً.

سنايدر (ينهض) **قليل، قليل!**

(مخاطباً بعض الفقراء في الخلف، بينهم تقف السيدة لاكرنيدل وغلومب)

هل عدتم ثانية! يبدو أنكم ستقضون حياتكم هنا. لقد استؤنف العمل في المسالخ.

السيدة لاكرنيدل أين؟.. المسالخ مغلقة.

غلومب **في البداية قيل انها ستفتح للعمل ثانية. لكنها لم تفتح مطلقاً.**

سنايدر **لا تقتربوا كثيراً من الصندوق!**

(بإشارة من يده يعيدهم نحو الخلف. الملاّك المؤجِر مالبري يدخل.)

مالبري ماذا حل بأجرة البيت؟

سنايدر أيها الأعزاء أفراد القبعات السود، السيد مالبري العزيز، أيها المستمعون الكرام! طبعاً لا تحتاج القضية العادلة إلى دعاية، لكنها تحتاج إلى شروح.. لهذا سأعرض عليكم قضيتنا.. في مسعانا لحلّ مشكلة التمويل الدقيقة كنا نتوجه حتى الآن إلى الفقراء والمعدمين، منطلقين من الاعتقاد بأن هؤلاء أكثر استعداداً لبذل قروشهم في سبيل الله، لأنهم الأحوج إلى معونته. وهم في كل الأحوال يشكلون السواد الأعظم من الناس. لكن خبرتنا أثبتت لنا للأسف الشديد أن هذه الفئات كانت شحيحة تجاه الرب إلى حد غير مفهوم. قد يعود السبب إلى أنهم لا يملكون شيئاً. لهذا قمت أنا باولوس سنايدر باسمكم الآن بدعوة أغنياء وموسري شيكاغو ليساعدونا يوم السبت القادم في توجيه ضربة قاصمة ضد الإلحاد والمادية المتغلغلتين في شيكاغو، ولا سيما عند الفئات الاجتماعية الدنيا. ومن هذه الأموال سندفع لعزيزنا وصاحب بيتنا السيد مالبري الأجرة التي تفضل وأمهلنا في دفعها.

مالبري هذا سيسرني بالتأكيد، لكن لا تحمل همّ الأجرة. (يخرج)

سنايدر حسناً، والآن انصرفوا جميعاً إلى أعمالكم، ولا تنسوا تنظيف الدرج.

(أفراد القبعات السود يغادرون)

سنايدر (للفقراء) أخبروني، أما زال العاطلون ينتظرون بصبر أمام أبواب المسالخ، أم أنهم بدأوا يلقون الخطب الثورية؟

السيدة لاكرنيدل منذ الأمس ارتفع هياجهم لأنهم يعرفون أن المصانع ملزمة

بتنفيذ عدد من العقود.

غلومب هناك كثيرون بدأوا يعلنون أنهم لن يجدوا عملاً إذا لم يلجأوا إلى العنف.

سنايدر (لنفسه) هذا مناسب. إذا دفع العمال ملوك اللحم إلينا، وهم يلاحقونهم بالحجارة، فسيصغون إلينا بيسر واهتمام. (للفقراء) ألا يمكنكم على الأقل أن تكسِّروا لنا الحطب؟

الفقراء ليس هناك أي حطب يا حضرة الرائد.

(يدخل اصحاب م.ت: كرايدل وغراهام ومايزر مع سليفت)

مايزر إني أتساءل يا غراهام: أين اختفت المواشي؟

غراهام هذا ما أتساءل عنه أيضاً: أين اختفت المواشي؟

سليفت أتساءل مثلكم.

غراهام وأنت أيضاً؟ لا شك أن ماولر أيضاً يطرح السؤال نفسه.

سليفت بالتأكيد.

مايرز هناك خنزير يشتري كل المواشي، وهو يعرف جيداً أننا ملزمون بتسليم لحم معلب، وأننا بحاجة للمواشي.

سليفت ومن هو يا ترى؟

غراهام (يلكمه في بطنه) أيها الكلب القذر الأجرب! لا تكذب علينا، اذهب واخبر بيربي أن هذا الأمر لا مزاح فيه، إنه يسلبناالعصب الحيوي.

سليفت (لسنايدر) ماذا تريدون منا؟

غراهام (يلكمه ثانية) ماذا تظنهم يريدون منا يا سليفت؟

(سليفت يقلد إشارة تقديم المال بطريقة بالغة المكر.)

غراهام أصبت يا سليفت.

(يجلسون على مقاعد التوبة)

سنايدر (على المنبر) تناهى إلينا نحن معشر القبعات السود أن هناك في المعامل خمسين ألف عامل دون عمل. وأن بعضهم قد بدأ

يتذمر ويقول: لا بد من أن نحل مشكلتنا بأنفسنا. ألا يتردد ذكر أسمائكم كمسؤولين عن بطالة خمسين ألف عامل يراوحون أمام أبواب المصانع؟ لا شك أنهم سيسلبونكم مصانعكم ويقولون: سنفعل كما فعل البلاشفة وندير المصانع بأيدينا، بحيث يحصل كل منا على عمله وقوته. لقد بدأت تسري في كل مكان أفكار تقول بأن المصائب لا تهطل من السماء كالمطر، بل يسببها هؤلاء الذين يوظفونها لمصلحتهم. لكننا معشر القبعات السود سنقول لهم إن المصائب تأتي كالمطر ولا أحد يعرف مصدرها، كذلك سنقول لهم إن العذاب مكتوب عليهم، لكن أجرهم محفوظ.

أصحاب م.ت وهل الحديث عن الأجر ضروري؟

سنايدر نعني الأجر الذي يدفع في الآخرة.

أصحاب م.ت وكم تطلبون مقابل هذه الخدمة؟

سنايدر ثمانمائة دولار في الشهر. فنحن بحاجة للحساء الساخن والموسيقى الصاخبة. كذلك سنعدهم بأن الأغنياء سيلاقون جزاءهم.. بعد موتهم طبعاً.

(الثلاثة يقهقهون بصخب)

سنايدر وكل هذا لقاء ثمانمائة دولار في الشهر فقط؟

غراهام لا تحتاج كل هذا المبلغ يا صديقي. خمسمائة دولار تكفي.

سنايدر يمكن أن ندبر أمورنا بسبعمائة وخمسين، ولكن ساعتها...

مايرز سبعمائة وخمسون. هذا أفضل. فلنقل خمسمائة إذن.

غراهام لا شك أنكم بحاجة لخمسمائة. (للآخرين) يجب أن يحصلوا على هذا المبلغ.

مايرز (من الأمام) هيا اعترف يا سليفت! المواشي عندكم.

سليفت أنا وماولر لم نشتر مواشي ولا حتى بسنتٍ واحد. أقول لكم الصدق.. والله على ما أقول شهيد.

مايرز (لسنايدر) خمسمائة دولار؟ هذا كثير. من الذي سيدفعها؟
سليفت أجل.. لا بد من أن تجد الآن من يدفع لك هذا المبلغ.
مايرز لن يكون هذا سهلاً.
غراهام اعترف! كل المواشي عند ماولر.
سليفت (يضحك) ما هم إلا مجموعة مفلسين يا سيد سنايدر.
(الكل يضحك عدا سنايدر)
غراهام يبدو لي أن الرجل لا يحب المزاح. إنه لا يعجبني.
سليفت المهم هو أن تحدد أين موقعك من المتراس، في هذا الجانب أم في ذاك؟
سنايدر منظمة القبعات السود هي فوق المعارك يا سيد سليفت. وبالتالي فإنها تقف في هذا الجانب.
(جان تدخل)
سليفت ها هي قديستنا جان التي التقينا بها في بورصة المواشي.
أصحاب م.ت (لجان بصياح) ها أنت تأتين! لسنا راضين عنك أبداً. أما كان بوسعك أن تحدثي ماولر عنا! يبدو أن لك نفوذاً عليه، وانه ينصاع لك كالكلب الأليف. اسمعي.. لقد أُخْفيت كل المواشي من السوق. والظروف التي أخفيت فيها تجبرنا على الاعتقاد بأن ماولر وراء العملية. يقال إنك تستطيعين حمله على تنفيذ كل ما تطلبين. يجب أن يفرج عن المواشي. وإذا نجحت في مسعاك فسندفع لكم اجرة المقر لأربع سنوات قادمة.
جان (ترى الفقراء فتشعر بالرعب) ماذا تفعلون هنا؟
السيدة لاكرنيدل (تتقدم منها)
الوَجَباتُ العشرونُ التهمت.
فلا يغضبنَّك أن تريني هنا ثانية،
وددت لو أعفيك من رؤية وجهي،
لكن الجوع وحش رهيب.

لا يكاد يستكين حتى يبدأ بالعواء من جديد.

غلومب (يتقدم منها)
أعرفك. حاولت اقناعك
بالعمل على المقصات التي بترت يدي.
وإني اليوم مستعد لفعل ما هو أسوأ.

جان لماذا لا تذهبون إلى العمل؟ ألم أؤمن لكم عملاً؟!

السيدة لاكرنيدل أين؟ المسالخ مغلقة.

غلومب في البداية قيل انها ستفتح ثانية. لكنها لم تفتح مطلقاً

جان (لتجار التعليب) إنهم ما زالوا ينتظرون إذن؟
(أصحاب م.ت لا يجيبون)
وأنا التي اعتقدت أنهم عبروا المحنة!
منذ ثمانية أيام والثلج يتساقط فوقهم.
هذا الثلج الذي يقتلهم، هو نفسه الذي يخفيهم عن الأعين..
لهذا نسيت ودون عناء هؤلاء الذين يتعجل الانسان نسيانهم
كي يخلدوا.
هل يكفي أن يقال حُلَّت المشكلة حتى ننصرف عن متابعتها!
(لأصحاب م.ت) ألم يشترِ ماولر لحومكم تلبية لرجائي،
فلماذا لم تفتحوا مصانعكم إذن؟..

أصحاب م.ت فعلاً، كنا نريد أن نفتح مصانعنا.

سليفت ولكن قبل ذلك أردتم أن تضيقوا الخناق على مربي المواشي.

أصحاب م.ت كيف تريد أن نذبح وليس هناك مواشٍ؟

سليفت حين اشترينا، أنا وماولر اللحم، افترضنا أن تستأنفوا العمل، وأن يتمكن العمال من شراء اللحم. أما الآن فمن سيأكل اللحم الذي اشتريناه منكم؟ ولمن اشتريناه إذا كان المستهلكون لا يملكون دفع ثمنه؟

جان إذا كنتم تحتكرون في مصانعكم ومنشآتكم الجبارة أدوات عمل

هؤلاء الناس، عليكم إذن أن تدعوهم يشتغلون بها، وإلا وقعوا في ضائقة شديدة. إن ما تفعلونه لهو أمر يشبه الاستغلال.. عندما لا تجد هذه المخلوقات التي تسومونها العذاب أي مخرج إلا أن تحمل الهراوات وتحطم رؤوس جلاديها، فستبللّون سراويلكم، كما لاحظت من قبل، وتكتشفون فجأة أن الدين علاج جيد وقادر على إطفاء الحرائق، لكن الرب أعدل من أن يكون خادمكم في كل ما تفعلون وأسمى من أن ينظف مزابلكم.

كنت أجرى هنا وهناك، معتقدة أني إذ أساعدكم، أنتم الذين فوق، فإني أساعد أولئك الذين تحت. فما بينكم وبينهم وحدة مصير، وعلى الجميع أن يتعاضدوا في شد حبل واحد. لكن كم كنت غبية في اعتقادي! فمن يريد مساعدة الفقراء عليه، كما يبدو، أن يساعدهم على اتقائكم. هل فقدتم كل احترام للانسان؟.. إذن في هذه الحالة يمكن ألا تعتبروا أنفسكم بشراً، بل حيوانات مفترسة، لا بد من القضاء عليها لحفظ الأمن والنظام في المجتمع! ومع هذا تجرأون لأنكم تملكون المال، على المجيء إلى بيت الله. إننا نعرف من أين وكيف حصلتم على هذا المال. إنه كسب مدنس. لقد أخطأتم القصد إذ جئتم إلى رب هذا المكان، والواجب أن يَطردكم المرء من هنا، وبضربات العصا. لا تنظروا إلي بهذه البلاهة! أعرف أنه لا ينبعي أن يعامل البشر كما تعامل البهائم. لكنكم لستم بشراً. اخرجوا من هنا، هيا بسرعة، وإلا انهلت عليكم بالضرب، لا توقفوني، إني أعي ما أفعل، ولشد ما تأخر وعيي.

(جان تقلب علماً وتستعمله كعصا تطارد بها أصحاب م.ت وسيلفت. يظهر أفراد القبعات السود في الأبواب.)

جان — انصرفوا! أتريدون تحويل بيت الله إلى اسطبل؟ أم إلى بورصة مواشٍ أخرى؟ انقلعوا! لا مكان لكم هنا. لا نريد رؤية هذه الوجوه. أنتم لا تليقون بهذا المكان، ولهذا أطردكم منه، بالرغم من نقودكم!

أصحاب م.ت — حسن، لكن نقول لك ببساطة وبكل تواضع أنك تطردين معنا أجرة أربعين شهراً. على كل حال نحن بحاجة لكل قرش، فأمامنا أيام لم ترَ سوق المواشي مثلها أبداً.

(أصحاب م.ت وسليفت يخرجون)

سنايدر — (يلحق بهم) تمهلوا يا سادتي، لا تذهبوا! إنها لا تمثل أحداً، وليست مفوضة. ما هي إلا فتاة خرقاء، سنفصلها! سنجعلها تفعل كل ما تطلبون.

جان — (لأفراد القبعات السود) لا شك أن فعلتي حمقاء، أقصد بالنسبة للأجرة. ولكن كيف يمكن أن يضبط المرء نفسه! (مخاطبة لاكرنيدل وغلومب) اجلسا هناك في الخلف، سأحضر لكما الحساء.

سنايدر — هيا استضيفي الفقراء وتكرمي عليهم بماء المطر والكلمات المنمقة

ما دامت السماء لا تبعث لهم رحمة، بل ثلجاً.

فضيلة التواضع لا تعرفينها

أما غرائزك فتنساقين اليها.

طبعاً من السهل طرد

هؤلاء الخطاة بحركة متكبرة.

تتشددين بالنسبة للخبز الذي نحتاجه..

يدفعك الفضول لمعرفة دقيقه ومخبزه،

ومع هذا تريدين أن تأكلي حصتك منه.

هيا.. ارحلي الآن

يا من تحلقين فوق الهموم الأرضية.
اخرجي تحت المطر، وفي قلب العاصفة..
اخرجي تحت الثلج.. وابقي مبدئية.

جان: هل تعني أن علي أن أخلع لباسي الرسمي؟

سنايدر: اخلعيه واحزمي حقيبتك. اخرجي من هذا البيت وخذي معك هذه الحثالة التي أثقلتنا بها. فخلفك لا يتجمع سوى السفلة وحثالة البشر. من الآن فصاعداً ستصبحين واحدة منهم. احضري حاجياتك!

(تذهب جان ثم تعود وهي تحمل حقيبة صغيرة وفي ثوب كالذي تلبسه الخادمات الريفيات.)

جان: سأذهب إلى الثري ماولر،
رجل طيب القلب، ويعرف خشية الله.
سأطلب منه أن يساعدنا.
لن ألبس هذا الثوب، وأضع القبعة السوداء
كذلك لن أعود إلى هذا البيت العزيز،
بيت الأغاني والتوبات
إلا إذا جئت بالثري ماولر،
تائباً، وواحداً منها.
حتى لو استشرت أموالهم كورم خبيث،
ملتهمة كل ما هو إنساني في وجوههم
حتى لو حولتهم أموالهم، صماً، شوهى،
وسجناء في أبراج عاجية
لا تصلها استغاثات البشر...

لا بد أن يوجد بينهم واحد عادل ومنصف.

(تخرج)

سنايدر أيتها الجاهلة المسكينة

كيف لا ترين أن العمال وأرباب العمل

جماعتان عدوتان

تتجابهان كعملاقين، ولا تتصالحان أبداً.

أيتها الوسيطة العقيمة

التي تسعى إلى حتفها.

مالبري (يدخل) هل حصلتم على المال؟

سنايدر لا شك يا سيد مالبري

أن الرب الذي وجد لنفسه

على الأرض هذا المنزل المتواضع

- أقول المتواضع -

سيجد الوسيلة، كي يدفع أجرته.

مالبري هذا صحيح جداً.. المسألة هي أن يدفع الاجرة.. نطقت بالكلمة المناسبة يا سنايدر. إذا دفع الرب فهذا حسن، وإذا لم يدفع تغير الأمر! إذا لم يدفع الرب اجرة البيت، فعليه أن يغادره مساء السبت. مفهوم يا سيد سنايدر؟

(يخرج)

• • •
• •
•

٨

[خطبة بيربون ماولر عن الضرورة الحتمية لوجود الرأسمالية والدين]

[مكتب ماولر]

ماولر وأخيراً يا سليفت جاء اليوم
الذي يجب فيه على صديقنا غراهام،
وعلى جميع من كان ينتظر معه
أرخص سعر للمواشي،
أن يشتروا اللحم الذي يدينون به لنا.

سليفت سيشترون بسعر أغلى،
فكل الأبقار التي تخور في سوق شيكاغو
هي أبقارنا.
وكل خنزير سيعلبونه لنا
لا بد أن يشتروه أولاً منا،
والسعر عندنا غالٍ.

ماولر أطلق العنان لسماسرتك يا سليفت!
دعهم يشعلون السوق
بأسئلتهم عن كل ما يشبه الأبقار أو الخنازير
من قريب أو بعيد..
وسترتفع الأسعار أكثر فأكثر.

سليفت ما أخبار صديقتك جان؟
هناك شائعة في سوق البورصة تقول بأنك ضاجعتها.
وأنا من جهتي كذبتها.
لم نسمع عنها شيئاً منذ أن طردتنا جميعاً من المعبد..
يقال إن شيكاغو السوداء المرعبة قد ابتلعتها.

ماولر تمنيت جداً أن أراها وهي تطردكم من المعبد.
إنها لا تهاب شيئاً، كان يمكن أن تطردني أيضاً لو كنت يومها معكم.
يعجبني هذا الجانب فيها، ويعجبني أن بيتها لا يمكن أن يستقبل أمثالي.
سليفت: ارفع السعر إلى الثمانين،
سيصبح غراهام وشركاه عندئذ أشبه بالوحل
الذي لا نطأه إلا لنترك أثر قدمنا فيه.
لا أريد أن تفلت مني ولا ذرة لحم واحدة،
هذه المرة سأسلخ جلودهم نهائياً.
إنها طبيعتي التي تريد ذلك.

سليفت يسعدني يا ماولر أن أراك تتجاوز نوبات ضعفك الأخيرة.
سأذهب الآن لأرى كيف يشترون المواشي.
(يخرج)

ماولر ينبغي أن أسلخ جلد هذه المدينة الملعونة،
وأن أعلم هؤلاء الأولاد أصول المهنة.
وليصرخوا بعدئذ: «انك تقترف جريمة!»
(تدخل جان وهي تحمل حقيبتها.)

جان نهارك سعيد يا سيد ماولر. الوصول إليك صعب. سأضع حاجياتي مؤقتاً في هذا الركن. فأنا لم أعد في منظمة القبعات السود. حدث بيننا خلاف في وجهات النظر. ولذا قلت

لنفسي: اذهبي لتري كيف أصبح السيد ماولر. الآن بعد أن تركت العمل التبشيري وسط الجموع، أصبح لدي الوقت للاهتمام بكل فرد على حِدة. لذلك سأبدأ بالاهتمام بكِ، طبعاً إذا وافقت. أتعرف، لاحظت أنك أكثر طواعية وقابلية من الآخرين... يا لها من أريكة جميلة وعريقة، ولكن لماذا تغطيها بهذا الشرشف المشعث؟ قل لي أتنام هنا في مكتبك؟ لقد تصورت دائماً أنك تملك دون ريب واحداً من قصور شيكاغو. (ماولر لا يجيب) ولكن معك حق إذ تقتصد في الجزئيات، حتى ولو كنت ملك اللحوم. لا أدري، كلما أمعنت النظر إلى وجهك خطرت لي تلك القصة، حين جاء الرب إلى آدم في حديقة الجنة وناداه: «أين أنت يا آدم؟» هل تذكرها؟ (تضحك) كان آدم يقف خلف شجيرة ويداه، إذا جاز القول، تغوصان في أحشاء ظبية. كان ملطخاً بالدم حين تناهى إليه صوت الرب، فتظاهر بأنه غير موجود. لكن الرب لم يفلته، دنا بنظره وناداه من جديد: «أين أنت يا آدم؟» عندها أجاب آدم بصوت ضعيف ووجه مشتعل: «أتأتي الآن، وفي هذه اللحظة التي قتلت فيها هذه الظبية. لا تقل شيئاً، أعرف أنه ما كان ينبغي أن أفعل هذا.»..
لكن أرجو يا سيد ماولر أن يكون ضميرك نقياً عندما تجيء تلك اللحظة.

ماولر: إذن ما عدت في منظمة القبعات السود؟

جان: لا يا سيد ماولر تركتهم.

ماولر: ومم كنت تعيشين خلال هذه الفترة؟
(جان لا تجيب)
ما كان هناك أي مورد إذن؟ متى تركت المنظمة؟

جان: منذ ثمانية أيام.

ماولر (يمضي إلى عمق المسرح ويجهش بالبكاء)
كل هذا التغير خلال ثمانية أيام فقط!
أين ذهبت؟ بمن التقت؟
وما سبب هذه التجاعيد حول زاويتي فمها؟
هذه المدينة التي جاءت منها لا أعرفها.
(يحمل لها صينية طعام)
أرى أنك تغيرت كثيراً.
هيا تناولي هذا الطعام.
(جان تنظر إلى الطعام)

جان سيد ماولر، عندما طردنا الأغنياء من مقرنا..

ماولر أمر أعجبني جداً ووجدته صائباً..

جان أخبرنا المؤجر الذي يعيش من الايجارات أن علينا إخلاء المقر مساء السبت التالي.

ماولر منظمة القبعات السود إذن، في وضع مالي عسير؟

جان نعم، ولهذا فكرت أن ألجأ إليك.
(تبدأ بالتهام الطعام بنهم.)

ماولر لا تقلقي. سأذهب إلى البورصة وأجمع لكم المال الذي تحتاجونه. مرّة أخرى، سأجد لكم المال، حتى ولو اجتززته من لحم هذه المدينة. سأفعلها من أجلكم. طبعاً المال غالٍ، لكني سأجده.. اتفقنا؟!

جان طبعاً يا سيد ماولر.

ماولر إذهبي وأخبريهم أن النقود ستؤمن، سيحصلون عليها قبل السبت القادم. ماولر سيؤمنها. أخبريهم انه ذهب لتوه إلى البورصة ليجمع لهم النقود. أما بالنسبة للخمسين ألف عامل فتلك مشكلة لم تحل كما كنت أرغب. لم أستطع أن أؤمن لهم العمل فوراً. مسألتك مختلفة.. ومنظمة القبعات السود

يجب أن نخلصها من صعوباتها. سأؤمن لكم النقود. اذهبي واخبريهم.

جان طيب يا سيد ماولر

ماولر لقد سجلتها. خذيها معك. خذي.

أنا أيضاً يؤسفني ألا يحصل الناس في المسالخ على عمل،
وكم هو شاق هذا العمل.
إنهم خمسون ألفاً ينتظرون وقوفاً في المسالخ،
ولا يريدون أن يغادروها حتى في الليل.
(جان تتوقف عن الأكل.)
لكن في هذه المهنة..
المسألة هي أن نكون او لا نكون.
ما يشغلني هو أن أعرف:
هل سأكون أفضلَ من طبقتي،
أم سأسلك بدوري النفق
المعتم الذي يقود إلى المسالخ.
أما الدهماء، فعاجلاً أم آجلاً،
ستزحم المصانع، وتسبب لنا المتاعب.
أعترف دون مواربة
أني وددت أن أسمعك تقولين
إن ما أفعله خير
وأن مهنتي ليست ضد ناموس الطبيعة.
أكدي لي أن نصيحتك كانت دافعي
لشراء اللحوم من أصحاب مصانع التعليب
والمواشي من مربي المواشي،
وأني أحسنت بذلك صنعاً.
والآن إذ أعلم أنكم فقراء،

وأن هناك من يهددكم بالطرد من مأواكم،
أريد أن أهبكم بعض المال
لأبرهن لكم على طيبة قلبي.

جان: أما زال العمال ينتظرون أمام المسالخ؟

ماولر: لماذا تعادين النقود؟
ولِمَ يصاب وجهك بالهزال حين لا يتوفر لديك شيء منها؟
ما رأيك بالنقود؟ أخبريني، أريد أن أعرف،
لا تحملي أفكاراً خاطئة،
كأولئك الحمقى الذين يجدون في النقود ما يريب،
بل فكري بالواقع! فكري بهذه الحقيقة البسيطة!
أقر أنها غير سارة، لكنها الحقيقة.
على هذه الأرض ما من شيء صلب.
فالجنس البشري نبتة في مهب المصادفات وتقلبات الطبيعة.
والنقود وسيلة يمكن أن تحسن الحياة،
على الأقل حياة البعض الذي يملك النقود.
أنظري أيضاً كيف بني العالم..
انظري هذا الصرح الشامخ! إنه عمل البشر،
ومنذ وجد البشر على الأرض.
وهو صرح ينبغي أن يعاودوا بناءه يوماً بعد يوم..
لأنه يتقوض يوماً بعد يوم.
عمل هائل رغم التضحيات التي يكلفها،
وهو يبنى باستمرار وسط التنهدات والآهات،
مهما كان البناء شاقاً.
هذا النظام هو الوحيد الذي يسمح لنا
بانتزاع ما يمكن انتزاعه من قساوة هذا العالم،
أكان ما ينتزع ضئيلاً أم عظيماً.

ولهذا فإن هذا النظام تدافع عنه الخيرة من البشر.
وهكذا .. فأنا الذي يغذي أكثر من شكوى
ضد نظام هذا العالم،
والذي ينام في الليل نوماً سيئاً،
لو أردت أن أنسحب من هذا النظام،
لما كان لانسحابي أثر أكبر من أثر بعوضة
تريد أن تمنع جبلاً من الانهيار.
كنت سأكنس، وألغى فوراً.
ثم تتابع الأمور مجراها السابق.
أو ينبغي أن نقلب البناء رأساً على عقب،
وأن نبدل مخططه جذرياً.
وفي هذه الحالة ينبغي أن نسند للإنسان
دوراً آخر.. وهو مفهوم غريب،
أنت أيضاً لا تقبلينه مثلنا.
لأنه حسب هذا المفهوم
لن تكون ثمة حاجة لنا، وكذلك لله
الذي سيُنفى وجوده، لأنه يغدو بلا عمل.
ولهذا ينبغي أن تساعدونا في مهمتنا،
وإذا لم تشاركوا بنصيب من التضحيات،
ونحن لا نطلب ذلك منكم،
فعليكم إذن أن تبشروا
بأن هذه التضحيات ضرورية.
باختصار، عليكم أن تعيدوا للرب مجده
وأن تجعلوه الملاذ الوحيد.
عليكم أن تقرعوا الطبول من أجله،
فلتترسخ جذوره في الأحياء الفقيرة،

وليدوِّ صوته عالياً في المسالخ..
وهذا يكفينا..
خذي ما أعطيك!
لكن اعرفي أولاً الغرض من هذا العطاء، ثم خذيه

جان: سيد ماولر، لم أفهم ما قلته
ولا أريد أن أفهمه.
(تنهض)
أعرف أنه ينبغي أن أكون سعيدة
إذ أرى أن هناك من يخفُّ
لمساندة الله على الأرض.
لكني واحدة من هؤلاء الذين
لا تقدم لهم هذه المساندة أي سند.

ماولر: احملي هذه النقود لمنظمة القبعات السود،
وسيمكنك أن تعودي وتسكني معهم.
هذه الحياة المتشردة تؤذيك.
إنهم بحاجة إلى النقود، فخذيها.
صدقيني أن هذا هو أفضل الحلول.

جان: إذا أرادت منظمة القبعات السود نقودك، فلتأخذها.
أما أنا فسأجلس أمام المسالخ مع هؤلاء الذين ينتظرون.
سأبقى معهم حتى تفتح المصانع أبوابها من جديد.
لن آكل إلا ما يأكلون.
وإن كان طعامهم حفنة من الثلج،
فسآكل الثلج معهم.
سأشاطرهم العمل، فأنا أيضاً لا أملك أية نقود،
وتلك هي الوسيلة الشريفة للحصول على النقود.
فإذا لم يتيسر العمل سأكون مثلهم، واحدة من العاطلين عن

العمل.
أما أنت يا من تعيش من فقر الفقراء
ولا تستطيع تحمل منظرهم،
يا من تحكم عليهم دون أن تعرفهم،
محاذراً أن ترى هؤلاء المحكومين
المستباحين في المسالخ، والذين يتجاهلهم الجميع..
أنت.. إذا أردت مستقبلاً أن تراني،
فستجدني في المسالخ.
(تذهب)

ماولر — هذه الليلة، انهض مراراً يا ماولر، وانظر من النافذة،
لترى هل يتساقط الثلج أم لا.؟
إذا كان الثلج يتساقط،
فستعلم أنه يتساقط فوقها،
فوق الصبيّة التي تعرفها.

• • •
• •
•

٩

[جولة جان الثالثة في الحضيض. عاصفة ثلجية]

أ

[منطقة المسالخ]

(جان وبجانبها غلومب والسيدة لاكرنيدل.)

جان سأقص عليكم حلماً رأيته قبل سبعة أيام، فاصغوا إليَّ.
ثمة حقل صغير تحصره من كل الجهات بنايات شاهقة..
كان صغيراً جداً حتى ليغطيه ظل شجيرة يافعة..
ورأيت في هذا الحقل حشداً من البشر، كم كان عددهم؟..
لا أدري..
لكنه على أية حال، أكثر من أسراب العصافير التي يمكن أن يتسع لها الحقل.
كانوا يشكلون حشداً كثيفاً
حتى أن الحقل تقوس، وتدلى البشر على جوانبه عناقيد.
ظلت العناقيد متدلية لحظة من الزمان، ونبضها الحي يعلو ويهبط..
ثم تناهت من مكان ما، كلمةَ.. كلمة بلا معنى
فبدأت الكتلة البشرية تزحف.
رأيت مواكب وشوارع،

بعضها مألوف، وبعضها مجهول، إنها شيكاغو!
ورأيتكم، أنتم أيضاً تسيرون في موكب، كذلك رأيت نفسي،
صامتة، أسير في مقدمتكم بخطوات عسكرية،
وجبين دامٍ، ثم صرخت فجأة بلغة غريبة، أنا نفسي
أجهلها، كلمات نبرتها حربية.
حينئذ تدفقت من كل الجهات مواكب بلا حصر،
وكانت تتقدم كل موكب واحدة، هي أنا..
كنت شابة، وعجوزاً، أنتحب، وأشتم، خارجة عن طوري..
اختلطت الفضيلة بالرعب.
كنت أغيِّر كل ما تطأه قدماي،
فأسبب دماراً عظيماً، وأبدل مدارات الكواكب البعيدة..
وأغير حتى المظهر المألوف للشوارع القريبة.
هكذا كنت أتقدم، ويتقدم الموكب معي.
يلفنا الثلج، ويحمينا من هجمات الأعداء.
لم يكن التسديد علينا ممكناً،
لأن الجوع جعل أجسادنا شفافة كالهواء.
ولا يستطيع أحد أن يطالنا،
لأننا لا نسكن أي مكان..
ولشدة ما تعودنا على العذاب، ما عاد ممكناً إيذاؤنا..
وهكذا كان يتقدم الموكب، راحلاً عن هذا المكان
الذي لا يدافع عنه، إلى أي مكان آخر...
هذا ما رأيت في الحلم
واليوم فهمت دلالته:
في السَحر، سنغادر هذه المسالخ، ونصل مدينتهم شيكاغو
مع بزوغ الشمس..
كي نعرض في الساحات العامة، وأمام الجميع فداحة

بؤسنا..
سننادي كل من له وجه يشبه الانسان.
أما ما سيأتي بعدئذ، فهذا ما أجهله.

غلومب: هل فهمت شيئاً مما قالت يا سيدة لاكرنيدل؟ أنا لم أفهم شيئاً

لاكرنيدل: لو سدت بوزها في مقر القبعات السود لكنا الآن نتمتع بالدفء والحساء الساخن

• • •

ب

[بورصة المواشي]

ماولر: (لأصحاب م.ت)
أصدقائي في نيويورك كتبوا لي يخبرونني
أن الرسوم الجمركية على التصدير
من حدودنا الجنوبية قد خفضت.

أصحاب م.ت: يا للكارثة! الرسوم الجمركية خفضت،
ونحن لا نملك بعد أي لحم نبيعه!
ما كان لدينا بعناه وبسعر منخفض..
والآن ينبغي أن نشتريه بينما الأسعار ترتفع.

مربو المواشي: يا للكارثة! الرسوم الجمركية خفضت،
ونحن لا نملك بعد أية مواشٍ للبيع!
ما كان لدينا بعناه وبسعر منخفض..

صغار المضاربين: يا للكارثة! أي سر خفي يحجب عنا قوانين الاقتصاد الثابتة!
بلا نُذر فار البركان، ودمرت حممه البلاد!
وها هي جزيرة جديدة، تنبثق دون توقع فوق مياه البحر الهائج.
لا أحد أُخبر، ولا أحد يعلم.

	لكن من يبقى في المؤخرة تنهشه الكلاب!
ماولر	بما أن الطلب على اللحم المحفوظ قد تزايد، والأسعار قد ارتفعت
	فإني أطالبكم أن تسلموني ودون تأخير
	كل كمية العلب المتفق عليها في العقد.
غراهام	بالسعر القديم؟
ماولر	كما اتفقنا يا غراهام.
	والكمية إن لم تخني ذاكرتي هي ثمانمائة ألف قنطار،
	اشتريتها حين ألمت بي تلك الغيبوبة.
أصحاب م.ت	كيف تريدونا أن نشتري المواشي بهذا السعر المرتفع؟
	ثمة تاجر مجهول، احتكر كل المواشي..
	دعنا يا ماولر نفسخ العقد!
ماولر	آسف، إني بحاجة إلى المعلبات.
	وهناك حسبما أعلم الكثير من الماشية،
	صحيح أنها غالية قليلاً..
	لكنها متوفرة.. فاشتروها!
أصحاب م.ت	أنشتري المواشي الآن! أعوذ بالله!

• • •

ت

[حانة صغيرة في منطقة المسالخ]

(عمال وعاملات، بينهم جان. تأتي إحدى فرق القبعات السود. وخلال المشهد التالي تومىء لهم جان بحركات يائسة كي ينصرفوا.)

جاكسون	(بعد أن يغني بسرعة مقطعاً من نشيد)
	لماذا لا تريد يا أخي أن تذوق خبز المسيح؟

ما أشد غبطتنا، وما اعظم فرحتنا
لأننا وجدنا طريقنا إلى تيسدنا يسوع
أنت أيضاً.. أسرع إليه..
هاليلويا

(مارتا توجه الخطاب إلى العمال.. وخلال ذلك توجه ملاحظات وتعليقات لجماعتها أيضاً.)

مارتا «أتعتقدون أن ذلك مجدٍ؟!» يا إخوتي، ويا أخواتي.. ذات يوم، كنت مثلكم، أجلس حزينة على قارعة الطريق، وكان المسخ العجوز في أعماقي لا يهجس إلا بالطعام والشراب، لكن بعد قليل تجلى السيد المسيح لي، فأضاء في قلبي نوراً، وملأ جوانحي فرحاً، والآن «إنهم لا يصغون إلي أبداً!» يكفي أن أفكر بالسيد المسيح الذي افتدانا جميعاً بآلامه، رغم كل سيئاتنا، حتى يختفي شعوري بالجوع أو العطش. ولا يبقى إلا تعطشي لكلام سيدنا المسيح. «لا فائدة!» حيث يحل المسيح يرين السلام لا العنف، الحب لا الكراهية. «لا فائدة.. اننا نضيع وقتنا..» كذلك نناديكم: ساعدونا على ملء القدر!

القبعات السود هاليلويا!

(يدور جاكسون بقدر جمع التبرعات فلا يدفع أحد شيئاً.)

هاليلويا!

جان لماذا يأتون في مثل هذا البرد ليثيروا هذه الفضيحة! وليتهم فوق هذا يعفونا من الخطب.. الحقيقة، ما عدت أتحمل سماع هذه الكلمات التي كانت ذات يوم حبيبة إلى قلبي ويشغفني سماعها.

لو أن صوتاً، لو أن واحداً ما يزال لديه بعض الحياء يقول لهم: هنا تسود الثلوج والرياح.. فاخرسوا.

سيدة دعيهم ، فهم مجبرون على هذا العمل ، إن أرادوا الحصول على بعض الدفء والطعام . كم أود لو كنت معهم في مقرهم .

السيدة لاكرنيدل يعزفون هناك موسيقى جميلة .

غلومب جميلة وعلى فترات قصيرة .

السيدة لاكرنيدل بالتأكيد هم أناس طيبون .

غلومب طيبون ، لو اختصروا في الكلام .

السيدة لماذا لا يناقشوننا كي يهدونا؟

غلومب (يقوم بيده بحركة من يعد قطع النقود) أتستطيعين ملء القدر يا سيدة سوينغرن؟

السيدة موسيقاهم جميلة . . أرى معهم قدراً . . توقعت أن يقدموا لنا صحناً من الحساء .

عامل (مندهشاً من سذاجتها) لا ! هل اعتقدت ذلك فعلاً؟

السيدة لاكرنيدل أنا أيضاً أفضل أن أرى الأفعال . سمعنا ما يكفي من الخطب المنمقة . لو أن بعضهم لمّ لسانه ، لعرفت أين أقضي ليلتي .

جان أليس بينكم من يحاول القيام بعمل ما؟

العامل نعم . . الشيوعيون .

جان أهم أولئك الناس الذين يحفزون على ارتكاب الجرائم؟

العامل لا .

جان كيف يمكن الاجتماع بهم؟

غلومب السيدة لاكرنيدل يمكن أن تخبرك .

جان (للسيدة لاكرنيدل) أين تسنى لك التعرف عليهم؟

السيدة لاكرنيدل لاحظي . في الوقت الذي كنت لا أثق فيه بأمثالك من الناس . كنت أذهب كثيراً إليهم ، بسبب زوجي .

• • •

ث

[بورصة المواشي]

أصحاب م.ت سنشتري كل المواشي! الرضيعة والمعلوفة. العجول والثيران والخنازير!
نرجو أن تقدموا لنا عروضاً.

مربو المواشي لا مواشي لدينا. بعنا كل ما يمكن أن يباع.

أصحاب م.ت لا شيء لديكم؟ لكن المحطات مزدحمة بالمواشي.

مربو المواشي كلها مباعة.

أصحاب م.ت ومن اشتراها؟..
(يدخل ماولر. يسرع أصحاب م. ت إليه)
لا مجال للعثور على ثور واحد في كل شيكاغو،
عليك أن تمهلنا يا ماولر.

ماولر بل نحافظ على تعهداتنا. ينبغي أن تسلموني كمية اللحم المعلب.
(يحدث سليفت جانباً.)
اضغط عليهم حتى تسمع طقطقة العظام.

أحد مربي المواشي ثمانمائة ثور من كنتاكي بأربعمائة.

أصحاب م.ت أربعمائة! هل جننتم؟ مستحيل.

سليفت أنا أشتري بأربعمائة.

مربو المواشي ثمانمائة ثور لسوليفان سليفت بأربعمائة.

أصحاب م.ت أما قلنا ذلك؟ إنه ماولر! هو بعينه!
الكلب الحقير! يجبرنا على تسليمه اللحم المعلب
وهو الذي يشتري المواشي!..
إذن نحن مجبرون على أن نشتري من ماولر
اللحم الذي نحتاجه كي نملأ له معلباته!

أيها الجزار القذر! الأحرى أن تقصبنا.. هيا اقتطع من لحمنا!

ماولر ما دمتم أبقاراً، فلمَ تستغربون
أن تثير رؤيتكم شهية المرء!

غراهام (يريد أن يهجم على ماولر) لا بد من قتله، سأصفي حسابي معه!

ماولر آ.. أهكذا يا غراهام؟
أريد إذن العلب التي تدين بها لي على الفور..
وما عليك إلا أن تحشوها بلحمك
سأعلمكم أصول هذه التجارة..
من الآن فصاعداً، ومن شيكاغو حتى إلينويز،
لن تجدوا عجلاً، ولا ظلف عجل، إلا إذا دفعتم لي سعراً جيداً.
مبدئياً أطرح للبيع خمسمائة ثور بستة وخمسين.
(صمت)
بما أنه لا يوجد طلب، ولا أحد بحاجة إلى اللحم،
فإني أرفع السعر إلى الستين..
وأرجو ألا تنسوا معلباتي.

• • •

جـ

[مكان آخر في المسالخ]

(لافتات كتبت عليها العبارات التالية: «تضامنوا مع المسرَّحين من عمال المسالخ! أعلنوا الاضراب العام!» رجلان من المكتب المركزي لنقابة العمال يتحدثان إلى مجموعة من

العمال. تدخل جان.)

جان: أهؤلاء هم الذين يدافعون عن قضية العاطلين عن العمل؟ أستطيع مساعدتكم تعلمت أن أخطب في الساحات العامة والقاعات، صغيرة كانت أم كبيرة. لا تربكني محاولات بلبلة الاجتماع، وأعتقد أني أستطيع أن أشرح بصورة جيدة أية قضية عادلة. في رأيي يجب أن نباشر العمل فوراً. ولدي اقتراحات.

قائد عمالي: انصتوا جميعاً:
حتى الآن لم يُبدِ تجار اللحوم أية رغبة بإعادة فتح مصانعهم في البداية اعتقدنا أن المستغِل ماولر يضغط لإعادة فتح المصانع. فهو يطالب أصحاب مصانع التعليب بكميات كبيرة من المعلبات التي تعهدوا بتسليمها له. لكن تبين فيما بعد أن اللحم الذي يحتاجونه للتعليب يحتكره ماولر نفسه، ولا ينوي طرحه في السوق.. ونحن العمال نعرف الآن شيئاً مؤكداً. إذا سارتْ الأمور كما يشتهي صناعيو التعليب، فسيفقد جزء منا عمله في المسالخ، والجزء الآخر الذي سيستأنف العمل، لن يحصل أبداً على الأجر السابق. وفي مثل هذا الوضع علينا أن ندرك أن مخرجنا الوحيد هو اللجوء إلى العنف. لقد وعدنا عمال المصانع الكبيرة أن يعلنوا بعد غد، على الأقصى، الاضراب العام. هذا النبأ لا بد من نشره فوراً في أربعة أطراف المسالخ، وإلا قد نواجه خطر أن تترك جموع العمال التي خدعتها الشائعات، المسالخ، فتضطر بعدئذ للرضوخ إلى شروط أصحاب مصانع التعليب. ومن هنا حتى صباح الغد، سينشر أرباب العمل كل أنواع الشائعات والأخبار الكاذبة. سيروجون أن جميع الأمور سوّيت، وأنه لن يكون هناك إضراب عام. لكن هذه

الرسائل تعلن أن عمال مصانع الغاز ومصلحتي الكهرباء والمياه، سيضربون تضامناً معاً. لهذا يجب أن تصل هذه الرسائل إلى رجالنا الموثوقين الذين سيجتمعون في العاشرة مساء وفي أماكن مختلفة من المسالخ منتظرين تعلياتنا. جان، خبىء هذه الرسالة في سترتك وانتظر رجالنا أمام مطعم الأم شميت!

(يتقدم عامل، يأخذ الرسالة ويذهب.)

عامل آخر أعطني رسالة مصانع غراهام، فأنا أعرفهم جيداً.

القائد العمالي الشارع السادس والعشرون، زاوية ميتشيغان بارك

(العامل يأخذ الرسالة ويذهب.)

الشارع الثالث عشر عند بناء منزل واشنطن. (لجان) وأنت، من تكونين؟

جان مسرَّحة من العمل.

القائد العمالي وما هو العمل الذي كنت تقومين به؟

جان كنت أبيع مجلة.

القائد العمالي لحساب من كنت تعملين؟

جان كنت بائعة جوَّالة.

عامل ربما كانت مخبرة.

القائد العمالي لا، أنا أعرفها. إنها عضوة في جيش الخلاص، والشرطة تعرفها جيداً. لن يخطر ببال أحد أنها تعمل لصالحنا، وهذا مناسب جداً، فالمكان الذي سيجتمع فيه رفاقنا من مصانع كرايدل تفرض عليه الشرطة رقابة صارمة. وليس لدينا من يستطيع الوصول إلى المكان دون أن يثير الشبهات مثلها.

القائد العمالي الثاني من قال لك أنها ستحمل لهم الرسالة التي نزودها بها؟

القائد العمالي الأول لا أحد.

(لجان)

الشبكة التي تتمزق إحدى عيونها
لا نفع فيها:
فالسمك يفلت من هذه العين بالذات،
ويصبح وجود الشبكة مثل عدمه
وتفقد كل العيون الأخرى السليمة فائدتها.

جان — كنت أبيع المجلات في الشارع الرابع والأربعين، وأنا لست مخبرة. إني أناضل بكل قواي من أجل قضيتكم.

القائد العمالي الثاني — قضيتنا؟ أليست قضيتك أيضاً؟

جان — لا شك أنه ليس من المصلحة العامة أن يرمي أصحاب المصانع هذا العدد الكبير من العمال إلى الشارع. يبدو لي وكأن فقر الفقراء يفيد الأغنياء، وبل وكأن الفقر بشكل عام هو من صنعهم.
(العمال يضحكون بصوت مرتفع)
هذا غير إنساني أبداً. وحين أقول ذلك فإني أفكر بأمثال ماولر.
(الضحك يتجدد)
لماذا تضحكون؟ سخريتكم ليست في مكانها. أرى أنكم تخطئون إذ تعتقدون ودون براهين، بأن أمثال ماولر لا يمكن أن يكونوا إنسانيين.

القائد العمالي الثاني — ليست البراهين هي التي تنقصنا. يمكنك أن تسلمها الرسالة. أتعرفينها يا سيدة لاكرنيدل؟ (لاكرنيدل تهز رأسها إيجاباً) إنها شريفة أليس كذلك؟

لاكرنيدل — نعم، إنها شريفة.

القائد العمالي الأول — (يعطي الرسالة لجان) اذهبي إلى المستودع الخامس في مصانع غراهام. عندما ترين ثلاثة عمال قادمين وهم يتلفتون، اسأليهم عما إذا كانوا من مصانع كرايدل. الرسالة لهم.

ح

[بورصة المواشي]

صغار المضاربين الأسهم تهبط قيمتها، ومصانع التعليب في خطر!
ماذا سيحل بنا، نحن المضاربين الصغار؟
بعد هذه الضربة التي هوت على الطبقة الوسطى
ما هو مصير المدَّخر الصغير
الذي أودع كل قروشه.
هذا المدعو غراهام، كان يجب فرمه كلحمة الحشوة،
قبل أن يحول السندات التي تحدد أسهمنا في مصنعه؟
إلى ورق للصرَّ..
هيا اشتروا الماشية، اشتروها مهما كان سعرها.
(خلال المشهد يعلنون من الخلف عن أسماء الشركات التي أوقفت دفع قيمة السندات والأسهم: «الشركات التي أوقفت الدفع: ماير اخوان وشركاهم».. إلخ)

أصحاب م. ت ما عدنا نستطيع، السعر أعلى من طاقتنا.

السماسرة نريد ألفي عجل بسبعين.

سيلفت (لماولر الذي يقف مستنداً إلى أحد الأعمدة) ارفع السعر!

ماولر لم تحترموا العقد الذي أبرمناه سابقاً
والذي أردت عبره تأمين العمل للعمال..
علمت أن العمال ما زالوا ينتظرون أمام المسالخ.
ثقوا أنكم ستعضون أصابعكم ندماً على ذلك.
هيا سلموني المعلبات التي اشتريتها منكم!

غراهام ما كان بوسعنا أن نفعل شيئاً،
فاللحم اختفى من السوق كلياً...

سليفت خمسمائة عجل بخمسة وسبعين.

صغار المضاربين اشتروها أيها الكلاب المتعطشة للدم!

لا.. لا يشترون! إنهم يفضلون التضحية بمصانعهم

ماولر سليفت، الأفضل ألا نرفع الأسعار أكثر،
فهم لا يتحملون المزيد..
لا بأس إن نزفوا، لكن يجب ألا يموتوا..
إن خرابهم سيجر علينا الخراب أيضاً.

سليفت ما زالوا يتحملون المزيد، فارفع السعر.
خمسمائة عجل بسبعة وسبعين.

صغار المضاربين أسمعتم.. بسبعة وسبعين.. لماذا لم تشتروا بخمسة وسبعين؟
ها هو السعر يرتفع.. وسيرتفع أكثر.

أصحاب م.ت اشترى ماولر المعلبات بخمسين، فكيف نشتري منه بثمانين؟

ماولر (سائلاً البعض) أين الذين أرسلتهم إلى المسالخ؟

أحدهم أمامك واحد منهم.

ماولر هيا انطق!
(المخبر الأول يبدأ بتقديم تقريره)

المخبر الأول الجموع يا سيدي لا تحصى. إن صرخ أحدهم اسم جان لرد عشرة أو ربما مائة. حشد لا هوية له ولا وجه، يجلس هناك وينتظر. من الصعب أن تسمع صوت الانسان الفرد، وهناك الكثيرون الذين يتراكضون هنا وهناك سائلين عن ذويهم الذين أضاعوهم.. أما في المنطقة التي تنشط فيها النقابات فثمة هيجان عظيم.

ماولر من ينشط؟ النقابات؟ وتسمح لهم الشرطة بتحريض العمال؟
اللعنة! اذهب فوراً وتلفن للشرطة، اذكر اسمي واسألهم:
لماذا ندفع الضرائب إذن؟ اطلب منهم أن يكسروا رؤوس هؤلاء المحرضين، وضع النقاط على الحروف!
(يذهب المخبر الأول)

غراهام	أفلسنا وأفلسنا.. ليكن يا ماولر.
أريد ألف رأس بسبعة وسبعين، وتلك هي نهايتنا.

سليفت	خمسائة بسبعة وسبعين لغراهام..
كل ما بعدها بثمانين.

ماولر	(وقد عاد) سليفت، هذه العمليّة ما عادت تسليني،
وقد تودي بنا إلى أبعد مما نريد.
ارفع السعر حتى الثمانين، ثم بع كل ما لدينا بهذا السعر!
سأفلت لهم اللحم، وأرفع يدي عن رقابهم. هذا يكفي!
لا بد للمدينة من أن تسترد أنفاسها.
وأنا شخصياً لدي مشاكل أخرى.
اسمع يا سليفت، شدُّ الخناق عليهم لم يمنحني البهجة التي
كنتَ أتوقعها.
(يرى ماولر المخبر الثاني فيخاطبه)
هل وجدتها؟

المخبر الثاني	لا، لم أر أية فتاة تلبس زي القبعات السود. هناك مئات
الألوف في المسالخ التي تلفها الظلمة. والريح تبتلع أي
نداء، وتحمله معها. هذا إضافة إلى أن الشرطة بدأت تخلي
المسالخ، وتطلق النار.

ماولر	تطلق النار؟ على من؟ طبعاً، أعرف. والغريب، أننا هنا لا
نسمع شيئاً.
أقلت، من المستحيل العثور عليها؟ وهناك إطلاق نار؟
إذهب وابحث عن جيم، قل له ألا يتلفن للشرطة، وإلا زعم
البعض أننا الجهة التي طالبت بإطلاق النار.
(المخبر الثاني يذهب)

مايرز	ألف وخمسائة بثمانين.

سليفت	خمسائة فقط؛ بثمانين.

مايرز طيب، خمسة آلاف بثمانين، أيها الجلاد!

ماولر (وقد عاد يستند إلى العمود) سليفت، أشعر بوهن ودوّار. تراخَ معهم.

سليفت لا يمكن. فهم ما زالوا قادرين على تحمل المزيد. وإن بدأت تضعف يا ماولر فأنا سأتابع رفع السعر.

ماولر سأخرج لاستنشاق الهواء. ما عدت أستطيع يا سليفت. تابع أنت إدارة العملية. تصرف وفق اسلوبي في الإدارة. أفضِّل أن أتخلى عن كل شيء ولا أكون السبب في كارثة ما. لا ترفع السعر أكثر من خمسة وثمانين، لكن تصرف وفق أسلوبي، وأنت تعرفني جيداً.

(أثناء خروجه يلتقي بالصحفيين)

الصحفيون ماولر.. هل هناك جديد؟

ماولر (وهو يهم بالانصراف) يجب أن تخبروا العمال في المسالخ أني زودت مصانع التعليب بالماشية. الآن أصبحت الماشية متوفرة. ودون ذلك كانت ستنفجر اضطرابات عنيفة.

سليفت خمسمائة عجل بتسعين.

صغار المضاربين سمعنا ما قاله ماولر. يريد بيع المواشي بخمسة وثمانين. وسليفت غير مفوَّض.

سليفت كذب. سأعلمكم كيف تبيعون اللحم المعلب،
دون أن يكون لديكم غرام واحد.
خمسة آلاف ثور بخمسة وتسعين.
(صيحات هائجة)

• • •

خـ

[المسالخ]

(عدد كبير من الناس الذين ينتظرون. بينهم جان)

مجموعة من الناس ماذا تنتظرين هنا؟

جان لدي رسالة يجب أن أسلمها. هناك ثلاثة أشخاص سيأتون.

(يصل جمع من الصحفيين يقودهم رجل)

الرجل (يشير إلى جان) ها هي. (مخاطباً جان) إنهم صحفيون.

الصحفيون مرحباً. أأنت جان دارك، فتاة القبعات السود؟

جان لا.

الصحفيون في مكتب السيد ماولر سمعنا أنك أقسمت ألا تغادري المسالخ، ما دامت المصانع مغلقة. نشرنا الخبر على ثمانية أعمدة في الصفحة الأولى. انظري.. يمكنك أن تقرأيه..

(جان تدير لهم ظهرها. الصحفيون يقرأون بصوت مرتفع) سيدة المسالخ تصرّح: إن الله متضامن مع عمال المسالخ.

جان لم أقل هذا الكلام.

الصحفيون يمكن أن نؤكد لك يا آنسة دارك أن الرأي العام معك. وباستثناء بعض المضاربين المعدومي الضمير، فإن شيكاغو بأسرها تشاطرك مشاعرك. وهذا نجاح هائل لك ولرفاقك في منظمة القبعات السود.

جان لم أعد في منظمة القبعات السود.

الصحفيون ماذا تقولين؟.. هذا غير ممكن. بالنسبة لنا مازلتِ في منظمة القبعات السود. لكننا لا نريد إزعاجك، وسننزوي في ركن هناك.

جان أتمنى أن تنصرفوا.

(يجلسون على مسافة قريبة منها)

مجموعة عمال (من عمق المسالخ)
لن يفتحوا المصانع قبل أن يبلغ البؤس ذروته.
نعم، عندما تصل الشدة حداً لا يطاق، ساعتها يفتحون مصانعهم.
ولكن ينبغي أن يجيبونا.
الزموا أماكنكم وانتظروا الجواب!

مجموعة عمال معارضة (من العمق أيضاً)
هذا خطأ! لن يفتحوا المصانع،
مهما اشتد البؤس.
إنهم ينتظرون تضاعف الأرباح.
وجوابهم سيأتينا من فوهات المدافع والرشاشات.
لا عون إلا أن نعين أنفسنا،
ولا يمكننا أن نعتمد إلا على أمثالنا.

جان أهو رأيك أيضاً يا سيدة لاكرنيدل؟

السيدة لاكرنيدل نعم، تلك هي الحقيقة.

جان بدأت افهم هذا النظام، ظاهره نعرفه منذ زمن بعيد
أما بنيته الداخلية فمجهولة.
هناك قلة تجلس في الأعلى،
وأغلبية تجلس في الأسفل.
والذين يجلسون في الأعلى ينادون الجالسين في الأسفل:
«اصعدوا إلينا لنصبح جميعاً فوق!»
ولكن إذا أمعن المرء النظر،
تراءى له بين الذين فوق والذين تحت، خط غامض..
خط يشبه الدرب، لكنه ليس درباً بل لوحاً خشبياً،
ويتضح بعد قليل أن اللوح، ما هو إلا أرجوحة.
وهذا النظام كله إن هو إلا لعبة أرجوحة.

طرفاها مرتبطان أحدهما بالآخر.
فهؤلاء لا يجلسون في الأعلى، إلا لأن أولئك يجلسون في الأسفل..
وسيبقون فوق، طالما بقي الآخرون تحت.
لأنه إذا ترك الذين تحت مكانهم، وتوجهوا إلى فوق،
فسيضطر هؤلاء للتخلي عن مكانهم.
ولذا فإنه أمر مصيري بالنسبة لهم
أن يبذلوا قصارى جهدهم كي تبقى الأغلبية في الأسفل،
ولا تستطيع أبداً الصعود إليهم..
والذين في الأسفل يجب أن يكونوا هم الأغلبية
لئلا ينقلب اللوح الخشبي. وهو ينقلب لأنه بالفعل أرجوحة.
(ينهض الصحفيون الذين تلقوا خبراً جديداً، ويتوجهون نحو العمق)

عامل: (لجان) ما علاقتك بهؤلاء الناس؟

جان: لا شيء.

العامل: ومع هذا، تحدثت معهم.

جان: ظنوني شخصاً آخر.

رجل عجوز: (لجان) إنك ترتجفين من البرد. أتريدين جرعة من الويسكي؟ (جان تشرب) يكفي! يكفي! لديك بالوعة عظيمة!

امرأة: قلة أدب.

جان: هل قلت شيئاً؟

المرأة: نعم. قلة أدب! أهكذا تشفطين ويسكي العجوز!

جان: لمي لسانك أيتها البلهاء!. أين ذهب وشاحي؟ لا شك أنهم سرقوه! لا، هذا كثير جداً.. أيسرقون وشاحي أيضاً!. من أخذ وشاحي؟ ردوه لي فوراً. (تنزع عن رأس المرأة الواقفة

بجانبها الكيس الذي تلف به رأسها، فتقاومها المرأة) أنت من سرقه، لا فائدة من الافكار. هيا أعطني هذا الكيس!

المرأة النجدة، ستقتلني.

رجل هدوءاً! (يرمى أحدهم إلى جان خرقة بالية)

جان لو عاد الأمر إليكم لتركتموني أتجمد عارية وسط دوامات الريح.

في الحلم، ما كان البرد قارساً إلى هذا الحد.

عندما جئت إلى هذا المكان، أحمل خطة طموحة أكدها لي حلمي،

ما تخيلت أبداً أن البرد سيكون قارساً إلى هذا الحد.

لو بقي لي وشاحي!

من السهل عليكم مصابرة الجوع،

لأنه ليس لديكم ما تأكلونه،

أما أنا، فهناك من ينتظرني ويحفظ لي حسائي.

ومن السهل عليكم مصابرة الزمهرير،

أما أنا، فأستطيع متى شئت الذهاب إلى غرفة دافئة، آخذ العلم وأقرع الطبل وأتحدث عن الذي في السماء.

أنتم.. هل تخليتم عن شيء!

أنا تخليت عن رسالتي، ومهنتي التي تعودت ممارستها.

تخليت عن العمل الذي يكفل حياتي.. عن خبزي اليومي.. عن السقف الذي يظلني.. عن معاشي.

ويبدو لي أن بقائي معكم، دون ضرورة قصوى، هو عبث معيب. أو تقريباً مهزلة.

ومع ذلك، لا يحق لي أن أذهب.
لكن أعترف أن الخوف يخنقني:
لا طعام، ولا نوم، ونجهل أين تسوقنا الحياة..
إني جائعة، وهذا تافه، إني مقرورة، وهذا مبتذل،
لكن أهم من هذا وذاك، أريد أن أذهب.

عمال	ابقوا هنا! لا تتفرقوا مهما حدث!
في بقائكم حشداً متضامناً يكمن خلاصكم..
اعلموا أن جميع الناطقين باسمكم خانوكم،
كذلك بيعت نقاباتكم.
لا تصغوا لأحد، ولا تصدقوا شيئاً،
لكن ادرسوا كل اقتراح يؤدي إلى تغيير حقيقي.
تعلموا على الأخص، أن لا شيء يتحقق إلا بالعنف،
وبنضالكم الفعلي.
(يعود الصحفيون)

الصحفيون	مرحباً يا آنسة، لقد حققت انتصاراً هائلاً. علمنا الآن أن المليونير بيربون ماولر الذي يملك قطعاناً من الماشية تنازل عن بعضها لمصانع التعليب، رغم أن الأسعار مستمرة في الارتفاع. وهذا يعني أن العمل سيستأنف في المسالخ منذ الغد.

جان	اصغوا جميعاً! وجد العمل.
قلوبهم ليست من جليد.
أو على الأقل بينهم رجل شريف
عندما خاطبناه كإنسان، لم يقصر في أداء واجبه.
وإذن ما زال ثمة خير..
(من بعيد يسمع صوت طلقات الرشاشات)
ما هذا الصوت؟

أحد الصحفيين إنها زخات رصاص. أوكلت إلى الجيش مهمة إخلاء المسالخ. مصانع التعليب ستفتح أبوابها، ولذا لا بد أولاً من إسكات المحرضين الذين يحضون على العنف.

امرأة أنعود إلى بيوتنا الآن؟

عامل وكيف نعرف أن ما سمعناه صحيح، وأن العمل سيتوفر لنا غداً؟

جان ولم لا يكون صحيحاً، ما دام هؤلاء السادة يؤكدونه لنا؟ هذه الأمور لا تحتمل المزاح.

لاكرنيدل لا تقولي مثل هذه البلاهات، فأنت لا تفهمين شيئاً من شيء. يبدو أنك لم تقضِ هنا في البرد، ما يكفي من الوقت. (تنهض) والآن، سأسرع إلى جماعتنا لأخبرهم أن الأكاذيب بدأت تشيع.. أما أنت، فانتظري هنا مع الرسالة. إياك أن تتحركي.. مفهوم! (تذهب)

جان لكنهم يطلقون النار!

عامل لا تقلقي، فالمسالخ كبيرة جداً، ولن يصل الجيش إلينا قبل ساعات.

جان كم يبلغ عدد المتجمعين؟

الصحفيون في حدود المائة ألف.

جان أهم كثيرون إلى هذا الحد؟

يا إلهي، أية مدرسة مجهولة،

وأي صف يغطيه الثلج، وتتجاهله القوانين.

في هذا الصف الجوع هو المعلم،

والفاقة الشديدة تتحدث عن الضرورة دون أي عائق.

إنكم مائة ألف تلميذ..

فقولوا لنا، ماذا تتعلمون؟..

العمال (من العمق) إن بقيتم محتشدين

سيجهزون عليكم.
إننا نقول لكم: ابقوا محتشدين..
إذا قاتلتم
ستهرسكم الدبابات
إننا ننصحكم: قاتلوا!
ستخسرون هذه المعركة،.
وقد تخسرون المعركة القادمة أيضاً.
ومن تجربتكم ستتعلمون أيضاً أن لا شيء يتحقق إلا بالعنف،
وبنضالكم الفعلي.

جان

كفى! وتوقفوا عن تعلم هذه الدروس!
إنها باردة، وينقصها الدفء الانساني.
ليس العنف هو السلاح لمقاومة الفوضى والاضطراب.
أعرف أن غواية العنف شديدة..
يكفي أن تقضوا ليلة أخرى في هذا الصمت القاهر،
ولن يوجد واحد بعد يستطيع الحفاظ على هدوئه.
على مرِّ السنوات بقيتم معاً ليالي كثيرة..
تغذون ببرود هذه الأفكار الرهيبة.
أعلم، أن العنف يتنامى في الظل،
وأن هناك قضايا لم تسوَّ أبداً..
في حين أن الضعيف مع الضعيف يتحالف.
لكن من الذي سيأكل ما تطبخونه هنا؟

. . . .

سأترككم.. العنف لا يثمر أي خير،
وأنا لست من هؤلاء الذين يحرضون على العنف.
لو أن الجوع والبؤس علماني العنف منذ طفولتي

لما آثرت أي جدل ، ولكنت الآن واحدة منهم .
ولكن ما دام الحال كذلك ، فلا بد من أن أذهب . (تبقى جالسة)

الصحفيون: ننصحك بمغادرة المسالخ . حققت نجاحاً كبيراً ، والقضية انتهت الآن . (يذهبون) (تتناهى من الخلف صرخات تقترب . ينهض العمال)

عمال: انهم يعتقلون القادة النقابين .
(شلة من الشرطة تجر القائدين العماليين وقد صفدت أيديهم)

عامل: (لأحد القائدين المصفدين) لا تقلق يا ويليام ، فهناك من يخبىء لهم مفاجآت أخرى .

عامل آخر: (يصرخ وراء المجموعة) قتلته!

عمال: إذا كانوا يعتقدون أن هذه هي الطريقة لمعالجة الأمور ، فهم عميان .
منذ فترة طويلة ، ورجالنا يرتبون كل شيء .
(تهبط على جان رؤيا . فتبصر نفسها مجرمة ، ومنفية بعيداً عن عالمها الأليف)

جان: لماذا قيدوا الرجلين اللذين حمّلاني الرسالة؟
وماذا تتضمن هذه الرسالة؟
لا يمكنني الإقدام على عمل ينطوي على العنف أو يولّد العنف .
سيكون ذلك عملاً غادراً حيال الناس الآخرين ،
واغتصاباً لكل الشرائع السائدة .
من يسلك هذا السلوك سيشعر أنه ضائع
يتيه في عالم موحش وغريب .
فوق رأسه لن تدور الكواكب بعد في مدراتها المعهودة ،
وستتبدل بالنسبة له معاني الكلمات .

ولأن هذا الجلاد ـ الضحية
لا يستطيع أن ينظر إلى شيء دون ريبة
فإنه سيفقد كل براءة.
لا أستطيع أن أتحمل حياة كهذه، ولذلك سأذهب...
طوال ثلاثة أيام شاهدوا جان في حي باكينغتاون.. في مستنقع المسالخ. شاهدوها تنحدر درجة، درجة،
كي تقطر من الوحل ماء صافياً، تصفو لرؤيته نفوس البائسين.
كانت تنحدر يوماً إثر يوم.. وفي اليوم الثالث انهارت.. وابتلعها المستنقع.
ستقولون: كان البرد قارساً جداً.
(تنهض وتمضي. يهطل الثلج)

لاكرنيدل (عائدة) كلها أكاذيب! ولكن أين ذهبت تلك التي كانت تجلس إلى جواري.

امرأة رحلت.

عامل منذ البداية، كنت أعرف أنها سترحل عندما يهطل الثلج الحقيقي.

(يأتي ثلاثة عمال وهم يتلفتون بحثاً عن شخص ما، وعندما لا يجدونه ينصرفون. وفيما يهبط الظلام تظهر الكتابة التالية:)
بدأ الثلج يهطل ويعصف،
والسؤال، من سيبقى هنا يا ترى؟
اليوم مثل كل يوم سيبقى هنا
الحصى، والفقراء الذين يفترشون الحصى.

• • •

د

[بيربون ماولر يعبر الحدود إلى مملكة الفقر]

[زاوية شارع في شيكاغو]

ماولر (مخاطباً أحد المخبرين) قف! ما قولك بالعودة؟
اعترف أنك ضحكت! عندما قلت العودة، ضحكت!
ما زالوا يطلقون النار. يبدو أن هناك مقاومة.
قلت لكما، لا تقلّبا الأفكار، لأني أطلب العودة كلما اقتربنا
من المسالخ!
تقليب الأفكار لا يجدي شيئاً.
يكفي! لا أدفع لكما معاشاً، كي تقلبا الأفكار.
لدي أسبابي التي تحدوني للعودة. إني معروف في المسالخ.
ولكن، ها أنتما تقلّبان الأفكار من جديد.
يبدو أني استكريت لحمايتي أحمقين.
على كل، لنعد...
تلك التي أبحث عنها، لديها من الادراك السليم،
ما يجعلها تغادر هذا الحضيض الملتهب كالجحيم..
أو، لنأمل ذلك.
(يمر بائع صحف)
هـ.. أعطني جريدة لنرَ ماذا يحدث في بورصة المواشي
ما أقرأ من أنباء يقلب كل شيء..
هوذا الخبر مطبوعاً بحروف بارزة..
سعر الماشية بثلاثين، ولا يباع منها شيء.
وكتب أيضاً بحروف واضحة،

أن كل أصحاب مصانع اللحوم أفلسوا ، وأخلوا السوق ،
وأن ماولر وصديقه سليفت هما أكثر المتضررين .
هذا ما كتبته الجريدة . .
وإذن فقد بلغت ، ودون أن أسعى إليها ،
الغاية المنشودة التي تملأ جوانحي ارتياحاً .
من الآن فصاعداً ، لا أستطيع أن أفعل لهم شيئاً .
طرحت كل ما لدي من الماشية لمن يرغب بالشراء ،
لكن أحداً لم يشترِ .
إني الآن حر ، ولا يثقل كاهلي أي التزام
أنتما مسرَّحان ، لأني ما عدت بحاجة لكما .
لقد عبرت الحدود إلى مملكة الفقر ،
ولن يرغب أحد بعد اليوم في قتلي .

المخبران
إذن يمكننا أن نذهب؟

ماولر
يمكنكما الذهاب . . ويمكنني أنا أيضاً الذهاب حيث أشاء . .
أما بالنسبة للصرح المجبول بالعرق والمال ،
الذي نصبناه في مدننا الكبرى ،
فإنه يشبه عمارة ضخمة وعملية وباهظة التكاليف .
لكن المهندس ، سهواً أو توفيراً ، بناها من روث الكلاب . .
وهذا ما يجعل الإقامة فيها عسيرة .
إن كل مجد المهندس هو أنه بنى أكبر مرحاض في العالم . .
ومن يهجر هذه العمارة ، يحق إذا شعرت بالسعادة .

المخبر الأول
(وهو يغادر) هذا الرجل تحطم!
المصائب تحطم التافهين ، أما أنا
فتسمو بي المصيبة إلى فضاء رحب . .
إلى مملكة الروح . .

• • •

ذ

[منطقة في المسالخ خالية من الناس]

(في زوبعة الثلج تلتقي السيدة لاكرنيدل جان.)

السيدة لاكرنيدل ها قد وجدتك! أين تركضين؟ هل سلّمت الرسالة؟

جان لا. سأغادر هذا المكان.

السيدة لاكرنيدل كان علي أن أتوقع هذا. أعطني الرسالة فوراً!

جان لا، لن تحصلي عليها. لا تقتربي مني. لا شك أن الرسالة تحرض على العنف. الآن عادت الأمور إلى مجراها الطبيعي، لكنكم تريدون الاستمرار في الشغب.

السيدة لاكرنيدل هكذا! أترين أن الأمور عادت إلى مجراها الطبيعي؟ وأنا التي قلت إنك شريفة، ولولا شهادتي لما عهدوا إليك بالرسالة. لكنك محتالة ومكانك مع أعدائنا في الطرف الآخر. ما أنت إلا نجاسة! أعطني الرسالة التي أئتمنوك عليها. (تختفي جان في عاصفة الثلج) أين أنت! اختفت ثانية.

• • •

ر

[مكان آخر]

(جان التي تجري نحو مركز المدينة تصادف عاملين عابرين يتحدثان.)

الأول في البداية أشاعوا أن مصانع التعليب ستستأنف عملها كاملاً. ولهذا غادر قسم من العمال المسالخ ليبكروا غداً إلى العمل. لكن فجأة أُخبرنا أن المصانع لن تفتح أبوابها

مطلقاً، لأن بيربون ماولر تسبب بخرابها وإفلاسها.

الثاني: الشيوعيون هم الذين كانوا على حق. ما كان يجب أن تتفرق جموع العمال. لاسيا وأن جميع مصانع شيكاغو كانت ستعلن غداً الاضراب العام.

الأول: لكننا هنا لم نسمع هذا الخبر، لم يبلّغنا أحد.

الثاني: أمر سيء. لا شك أن بعض حملة الرسائل قد تخاذل. الكثير من العمال كان سيبقى لو بلغه الخبر. نعم.. كانوا سيبقون رغم وحشية رجال الشرطة. (جان تسمع أصواتاً، وهي تتجول ضائعة)

صوت: لا عذر لمن يصل إلى هدفه.
الحجر لا يعذر من يتعثر به ويسقط.
والذي وصل سالماً إلى الميناء
عليه أن يسلم الرسالة التي عُهد بها إليه
قبل أن يسرد أهوال ومشقاتِ الرحلة.
(جان تقف.. ثم تنطلق باتجاه آخر)

صوت: (جان تتوقف) جان، كلفناك بمهمة،
كان مصيرنا يتعلق بها.
لم نكن نعرف من أنت.
كان بوسعك تنفيذ مهمتنا وكان بوسعك أيضاً خيانتنا.
فهل نفذت المهمة؟
(تتابع جان سيرها لكن صوتاً جديداً يوقفها)

صوت: ينبغي أن تصلي إلى المكان الذي ينتظرك فيه شخص ما.
(جان تتلفت باحثة عن مخرج تهرب به من الأصوات التي تأتيها من جميع الجهات.)

أصوات: الشبكة التي تتمزق إحدى عيونها
لا نفع فيها:

فالسمك يفلت من هذه العين بالذات ،
ويصبح وجود الشبكة مثل عدمه
وتفقد كل العيون الأخرى السليمة فائدتها

السيدة لاكرنيدل لقد زكيتك ،
لكنك لم تسلمي الرسالة ، التي تتضمن الحقيقة

جان (متهاوية على ركبتيها)
آه أيتها الحقيقة ، أيها النور الساطع!
حين كنت أتمسك ، زوبعة الثلج أخفتك
ساعتها ما تبينت وضوحك ،
فمن سيقول : زوبعة الثلج هي الملومة؟
وآه من الجوع!
أي عاطفة لا يقتلها الجوع في داخلنا؟
يا صقيع الليل من يستطيع أن يقاومك ،
يجب أن أعود .
(تسرع عائدة)

• • •
• •
•

١٠

[بيربون ماولر يُذِل نفسه فيسمو]
[في مقر القبعات السّود]

مارتا (تخاطب أحد زملائها من القبعات السود) قبل ثلاثة أيام بعث بيربون ماولر ملك اللحوم رسولاً يخبرنا بأنه يتعهد شخصياً بدفع أجزة المقر وأنه سينظم بالتعاون معنا حملة كبيرة لصالح الفقراء.

مالبري إنه مساء السبت يا سيد سنايدر. أرجو أت تدفع الأجرة، وهي زهيدة جداً، أو أن تخلي المكان.

سنايدر يا سيد مالبري، ننتظر بين لحظة وأخرى قدوم السيد بيربون ماولر الذي وعدنا بالمساعدة.

مالبري عزيزي ديك، عزيزي ألبرت، احملا الأثاث إلى الشارع.
(يبدأ الرجلان بنقل الأثاث إلى الشارع)

القبعات السود وا أسفاه، انهم يحملون مقاعد التوبة!
وقبضاتهم الشرهة بدأت تمتد إلى الأراغن والمنبر.
ونحن نصرخ بملء حناجرنا:
آه لو يأتي الثري ماولر
كي ينقذنا الآن بماله.

سنايدر منذ سبعة أيام وجموع العمال تنتظر
في ساحات المسالخ التي علا آلاتها الصدأ.

حرمت من عملها ، ولا مأوى يحميها ،
وهي تنتظر في المطر والثلج ،
تحت سماء مكفهرة بالأقدار المجهولة .
آه يا سيد مالبري ، يكفي الآن بعض الحساء الساخن
وقليل من الموسيقى ، كي نكسب هذه الجموع .
أرى مملكة الرب دانية ومزدهرة .
بفرقتنا الموسيقية ، وحساء جيد الدسم
تنتهي متاعب الرب مع عباده الجاحدين ،
وكذلك ندفن البلشفية في مهدها .

القبعات السود: في مدينتنا الطيبة شيكاغو ، انهارت سدود الايمان
وتدفقت أوحال المادية تهدد بيت الله .
انظروا إلى البيت ، إنه يميد ، ويغرق .
لكن تماسكوا ، فالثري ماولر قادم .
إنه في الطريق إلينا حاملاً ملايينه .

أحد القبعات السود: سيدي الرائد ، أين سيجلس الزوار!

(يدخل ثلاثة فقراء ، ماولر واحد منهم)

سنايدر: (يصرخ في وجوههم) كل ما تبغونه هو الحساء . لا يوجد لدينا حساء! لا يوجد لدينا إلا كلام الله .. ما إن يسمعوا هذا القول حتى ينصرفوا على الفور .

ماولر: نحن ثلاثة رجال ، جاءوا إلى ربهم لاجئين .

سنايدر: إذن اجلسوا هناك وحافظوا على الهدوء .

(الثلاثة يجلسون)

رجل: (داخلاً) هل أجد بيربون ماولر هنا؟

سنايدر: لا ، ولكننا ننتظره .

الرجل: أصحاب مصانع التعليب يريدون التحدث إليه ، ومربو المواشي ينادونه صارخين . (يذهب)

ماولر (في المقدمة) سمعت انهم يبحثون عن شخص اسمه ماولر.
عرفته.. كان شخصاً غبياً. وهم يبحثون في السماء والجحيم
عن هذا الشخص الذي كان طوال حياته
أغبى من متشرد مخمور يثير القرف.
(ينهض ويتجه نحو أفراد القبعات السود)
كنت أعرف شخصاً طلب منه مائة دولار.
وكان يملك عشرة ملايين.
بدَّد ملايينه العشرة ورفض أن يعطي المائة،
ثم جاء، وقدم نفسه هبة.
(يأخذ اثنين من جاعة القبعات السود ويجلس معهما على مقعد التوبة)
اسمعوا اعترافي!
لم يركع في هذا المكان انسان أحط مني.

القبعات السود أيها الرجل المزعزع الإيمان
لا تفقد الأمل.
يقيناً سيأتي،
بل ها هو يقترب حاملاً كل ملايينه.

أحد القبعات السود هل وصل؟

ماولر أرجوكم، أسمعوني نشيداً.
فقلبي خفيف ومثقل في وقت واحد.

موسيقيان مقطوعة واحدة، لا أكثر.
(يعزفون نشيداً. أفراد القبعات السود يغنون شاردين ونظراتهم معلقة بالباب)

سنايدر (منكباً على دفاتر الحسابات)
لن أعلن حساباتي.
أرجو الهدوء!

أعطوني دفتر حسابات المقرّ والفواتير،
فهو الذي سيدفعها الآن.

ماولر أتهم نفسي باستغلال جاري
وسوء استخدام القوة،
وبنهب العالم كله، باسم الملكية.
طوال سبعة أيام
وأنا أضغط على عنق هذه المدينة
حتى بدأت تلفظ أنفاسها.

أحد القبعات السود إنه ماولر!

ماولر لكن أضيف، أني في اليوم السابع
جردت نفسي من كل ما أملك.
وها أنذا أمامكم معدِماً.
صحيح أني مذنب، لكنني نادم

سنايدر هل أنت ماولر؟

ماولر نعم، وإني أتمزق ندماً.

سنايدر (يصرخ بأعلى صوته) تأتي مفلساً؟! (للقبعات السود)
احزموا حقائبكم. بدءاً من هذه اللحظة، سأوقف جميع المدفوعات.

الموسيقيون أهذا هو الرجل الذي كنتم تنتظرون الحصول على مال منه كي تدفعوا لنا حسابنا؟ إذن يمكننا الانصراف. طاب مساؤكم. (يغادرون)

جوقة القبعات السود (تتابع بغنائها الموسيقيين المنسحبين)
أقمنا الصلوات كي يأتي ماولر الغني
لكن من جاء هو ماولر النادم.
جاء يحمل قلبه، لا ماله.

هذه اللفتة هزتنا
لكنها جعلت قسماتنا تتهدل وتشحب.
(بصورة فوضوية يغني أفراد ق.س آخر أناشيدهم جالسين على آخر ما تبقى لديهم من كراسي ومقاعد)
على ضفاف بحيرة ميتشيغان نجلس وننتحب.
ارفعوا الشعارات عن الجدران!
لفوا كتب التراتيل بالأعلام المنكسة!
لما عاد بوسعنا أن ندفع ديوننا.
وفي شتاء شديد الزمهرير والقسوة
عواصف الثلج تسفعنا.
ثم يغنون «هيا إلى المعركة». من وراء كتف أحد أفراد ق.س ينظر ماولر إلى كتاب الأناشيد ويشارك معهم في الانشاد).

سنايدر: سكوت! اخرجوا الآن، اخرجوا جميعاً!
(لماولر) وأنت قبل الآخرين!
أين اجرة الأربعين شهراً التي كان سيدفعها الضالون
لولا أن جان طردتهم؟
بدلاً من الأجرة، انظروا ماذا حملت إلينا!
أعيدي لي يا جان أجرة الأربعين شهراً.

ماولر: أرى أنكم تريدون أسوأ ما لدي لتعمروا به بيتكم.
الانسان في رأيكم هو فقط من يساعدكم.
وأنا أيضاً كان الانسان بالنسبة لي هو ذلك الذي أستغله.
ولكن حتى لو أطلقنا صفة الانسان على من يقدم المساعدة فقط.
فإن الوضع لن يتغير.
لأنكم ستحتاجون لكثير من الناس الغرقى..

وعملكم كله سيكون تقديم قشة الانقاذ.
وهكذا يبقى كل شيء في نطاق الدورة العظيمة
التي تدورها السلع، مثلها مثل الكواكب في مداراتها.
الكثيرون ممن قد يصغون لمثل هذه المحاضرة سيمتعضون،
لكن اسمعوا ختام القول: ماولر في حالته الراهنة،
ليس الرجل الذي تحتاجونه
(ينوي ماولر الذهاب لكن ملوك اللحم يلتفون به عند الباب ووجوههم شاحبة.)

أصحاب م.ت اعذرنا أيها النبيل ماولر، إذا جئنا نشوّش في هذا المكان
تأملاتك وأفكارك العظيمة،
لكننا انتهينا.. الفوضى تحاصرنا
وفوقنا سماء تهددنا بنذر مجهولة.
ماذا تنوي أن تفعل بنا يا ماولر؟
لويت اعناقنا. فما هي خطواتك القادمة؟
(يدخل مربو المواشي في حالة هياج عظيم. هم أيضاً وجوههم شاحبة)
ماولر أيها اللعين، أتختبىء هنا؟
تدفع لنا ثمن مواشينا بدلاً من البحث عن التوبة.
نريد مالك لا روحك!
لو لم تسرق جيوبنا لما احتاج ضميرك إلى التوبة.
ادفع لنا ثمن مواشينا!

غراهام اسمح لنا يا ماولر أن نشرح لك باختصار مجريات تلك المعركة
التي بدأت مع الفجر واستمرت سبع ساعات متواصلة.
فجرفتنا جميعاً إلى الهاوية.

ماولر يا لهذه المذبحة الأبدية!
حالنا اليوم لا يختلف عن الأزمان البدائية،
عندما كان البشر يشقُّون رؤوس بعضهم البعض
بقضبان حديدية.

غراهام تذكر يا ماولر أنك وضعتنا تحت رحمتك.
ربطتنا بعقود تجبرنا على أن نقدم لك
اللحم المحفوظ دون إمهال.
أجبرتنا يا ماولر على شراء الماشية.
ومنك أنت بالذات.
لأنك الوحيد الذي كان يملكها.
عندما تركت البورصة ظهراً،
شدَّد سليفت ضغطه على رقابنا،
وبنداواته القاسية كان يرفع الأسعار دون توقف،
حتى رست على خمسة وتسعين.
عندها تدخل البنك الوطني، تلك المؤسسة الموقرة العجوز.
وبشعور طافح بالمسؤولية دفع إلى السوق المضطربة
ماشية من كندا.
بدأت الأسعار تتأرجح..
لكن سليفت الذي مسَّه جنون..
لم يكد يرى هذه الثيران المحمولة من بعيد، حتى انقض
عليها.
اشتراها كلها بخمسة وتسعين.
كان كالمخمور الذي شرب البحر ولم يرتوِ،
فأخذ يلحس القطرات المتساقطة.
هذا المنظر الفظيع أرعب البنك العجوز،
فخف لنجدته ذوو الشهرة والمال

من أمثال لوف وليفي ووالوكس وبريغهام .
رهنوا كل ما يملكون حتى آخر كرسي لديهم
كي يجلبوا من الأرجنتين وكندا خلال ثلاثة أيام ،
كل ما هو متوفر من البقر .
بل وعدوا السوق بجلب ما لم يولد بعد ،
وكل ما يشبه البقر والعجول والخنازير .
فصرخ سليفت : « ليس خلال ثلاثة أيام .
إنهم بحاجة لها اليوم . »
ورفع الأسعار أعلى فأعلى .
انتحبت المؤسسات المصرفية وهي ترمي بنفسها إلى المعركة الحاسمة .
كانت ملزمة بشراء المواشي لأنها كانت مضطرة لتسليم المعلبات .
شهق ليفي بالبكاء ، وهو يلكم أحد سماسرة سليفت في بطنه .
ونتف بريغهام لحيته وهو يصرخ : بستة وتسعين .
آنذاك ، لو خاطر فيل ودخل إلى القاعة
لانهرس كما تُهرس حبة التوت .
حتى الأقلام في الأيدي ، لشدة يأسها ،
انكمشت على نفسها بصمت ، ولوت رؤوسها ،
كما كانت تفعل الخيول لحظة الخطر في المعارك .
في هذا اليوم ، كان المتمرنون من السماسرة ،
والذين يتصفون عادة باللامبالاة ، يصرفون على أسنانهم .
وكنا نواصل الشراء ، لأننا مجبرون على ذلك .
حينئذ قال سليفت : مائة .
فران صمت عميق كان يسمع فيه رنين الابرة .
وفي جوف هذا الصمت ، انهارت البنوك .

هذه المؤسسات التي كانت مدعمة وقوية،
انكمشت كاسفنجة تعصر،
وتوقف نبض الحياة فيها، لأن قدرتها على الدفع توقفت.
وقال ليفي العجوز بصوت مخنوق، لكن سمعه الجميع:
«مقابل مالكم علينا، خذوا مصانعنا، فما عدنا نستطيع إيفاء تعهداتنا..»
ثم رأينا أصحاب مصانع التعليب كالحي الوجوه،
يتقدمون الواحد تلو الآخر، ويرمون تحت قدميك
مصانعهم المغلقة، ثم ينسحبون.
أما المحاسبون والممثلون فقد لموا أوراقهم وأنصرفوا.
وبما أنه لم تعد هناك عقود تلزم أصحابها بالشراء،
فقد هبط سعر لحم البقر، هبوطاً مريعاً.
وبين تسجيل وآخر رأينا الأسعار تهوي أكثر فأكثر
كمياه شلال ينحدر من صخرة إلى صخرة.
وهكذا حتى رست على الثلاثين.
وهذا ما جعل عقدنا يا ماولر بلا قيمة..
لقد ضغطت كثيراً، حتى خنقتنا..
فماذا يجدي أن تضغط على عنق جثة؟

ماولر: أهكذا أدرت المعركة التي سلمتك قيادتها يا سليفت!

سليفت: اقطع رأسي.

ماولر: وماذا يفيدني رأسك؟..
أعطني قبعتك فهي تساوي خمسة سنتات.
والآن، قل لي:
ماذا نفعل بكل هذه الماشية التي لن يشتريها أحد؟

مربو المواشي: دون أن نفقد أعصابنا ونثور
نرجوك أن تخبرنا:

متى وكيف ستدفع لنا ثمن الماشية
التي اشتريتها ولم تسدد لنا حسابها؟

ماولر — سأدفع حالاً.
بهذه القبعة وهذا الحذاء.
قبعتي بعشرة ملايين وفردة الحذاء بخمسة.
أما الفردة الأخرى فما زلت أحتاجها.
هل رضيتم؟

مربو المواشي قبل فترة، عندما سقنا العجول النظيفة
والمعلوفة جيداً إلى محطة ميزوري البعيدة
صاح بنا أهلنا بأصوات هدّها الكد؛
وهذه الأصوات ما زالت ترن في آذاننا
ممتزجة بهدير القطار الذي تهتز عرباته:
لا تسكروا بالنقود يا شباب..
نرجو أن يرتفع سعر الماشية..
ماذا نفعل الآن؟
كيف نعود؟
ماذا نقول ونحن نحمل إليهم
الأرسن فارغة والجيوب أيضاً فارغة؟
كيف يمكننا في هذه الحالة أن نعود إلى بيوتنا يا ماولر؟

الرجل السابق (يدخل) هل ماولر هنا؟ وصلته رسالة من نيويورك.

ماولر كنت المدعو ماولر الذي توجه إليه مثل هذه الرسائل.
(يفتح الرسالة ويقرأها منزوياً)
« منذ فترة قريبة كتبنا لك أيها العزيز بيربون أن تشتري اللحم. أما اليوم فإننا ننصحك بعقد اتفاق مع مربي المواشي من أجل تقليص عدد المواشي كي تعود الأسعار فترتفع. في هذه الحالة نحن تحت تصرفك وسنرسل لك غداً مزيداً من

التفاصيل يا عزيزنا بيربون. أصدقاؤك في نيويورك. »
لا، لا، لا يمكن.

غراهام: ما الأمر؟

ماولر: لدي أصدقاء في نيويورك يدَّعون أنهم وجدوا لي مخرجاً من الأزمة. ولكن يبدو لي أنه حل غير عملي. احكموا بأنفسكم.
(يعرض عليهم الرسالة) كل شيء يبدو الآن مختلفاً.
أوقفوا أيها الأصدقاء هذه المطاردة المضنية.
اعلموا أن أملاككم ضاعت نهائياً.
لا لأن النعم الأرضية قد حُجبت عنا،
وفقرنا ليس فقدان الخيرات الأرضية..
- فليس بوسع كل انسان أن يكون غنياً -
فقرنا الحقيقي هو أننا فقدنا الاحساس
بالقيم السامية..

مايرز: من هم هؤلاء الأصدقاء في نيويورك؟

ماولر: مورغان وبلاكويل وروكفد...

غراهام: هل تعني وولستريت؟ (يبدأ الموجودون بالتهامس)

ماولر: لقد اضطهدنا الانسان الذي يعيش في ذواتنا..

أصحاب م.ت ومربو المواشي: ماولر المبجل، هلا هبطت إلينا
من علياء تأملاتك.
فكر بالفوضى التي ستجرف كل شيء.
الجميع بحاجة إليك،
فاحمل عبء المسؤولية على كتفيك

ماولر: لا رغبة لدي..
ولا أستطيع ذلك وحدي.
ما زال في أذني هدير المسالخ وأزيز الرصاص.

لا تحل المشكلة إلا إذا توفرت موافقة عامة،
واعتبرت ضرورة عامة.
إن المسألة إذا فُهمت على هذا النحو..
قد نجد لها حلاً
(مخاطباً سنايدر)
أهناك الكثير من هذه المقرّات الانجيلية؟

سنايدر نعم.

ماولر كيف تسير أحوالها؟

سنايدر سيئة.

ماولر أحوالها سيئة، لكنها كثيرة.
يا معشر القبعات السود، إذا دعمنا جمعيتكم بسخاء،
فهل تقفون إلى جانبنا؟ هل تذهبون إلى كل مكان
حاملين الحساء والموسيقى، وإمكانية تقديم المأوى أحياناً..
وتقولون للناس أننا طيبون؟
ونعمل لخيرهم في زمن الشقاء هذا..؟
فأشد الاجراءات حزماً، والتي قد تبدو قاسية
لأنها تمس البعض، بل الكثيرين،
أو لنقلها صراحة، الجميع تقريباً..
هي وحدها التي يمكن أن تنقذ هذا النظام الذي نعيش في ظلّه...
نظام البيع والشراء
الذي لا يخلو من المساوىء..

سنايدر من أجل الجميع تقريباً.. فهمت. سنفعل هذا.

ماولر (لأصحاب م.ت) سأدمج مصانع التعليب
في مؤسسة صناعية واحدة،
وسآخذ نصف أسهمها.

أصحاب م.ت يا للعبقرية!

ماولر (لمربي المواشي) اسمعوا أيها الأصدقاء! (يتهامسون)
الأزمة التي كانت تضغط على رقابنا بدأت تنفرج.
البؤس والجوع والقسوة والعنف،
كل هذا، ليس له إلا سبب واحد:
هناك لحم أكثر مما ينبغي.
كان سوق اللحم هذا العالم متخماً،
ولهذا هبطت الأسعار إلى الحضيض.
والآن، لكي نوقف هذا الهبوط، قررنا جميعاً،
نحن تجار مصانع التعليب ومربي المواشي
أن نحد من تربية المواشي التي تجاوزت كل حد.
وأن نحدد العدد المطروح منها في السوق
ونحذف من الموجود حالياً، القسم الفائض عن اللزوم..
باختصار.. أن نحرق ثلث الماشية المتوفرة حالياً.

الجميع أيُّ حل بسيط!

سنايدر (مستأذناً) عفواً.. إذا كانت المواشي الفائضة
لا قيمة لها، حتى أنكم تريدون حرقها..
أفلا يمكن إذن تقديمها للجموع
التي تنتظر في الخارج والتي تعرف كيف تفيد منها؟

ماولر (يبتسم) عزيزي سنايدر
يبدو أنك لم تستوعب جوهر القضية.
هؤلاء المحتشدون هناك، هم بالذات المشترون!
(للآخرين) أمر لا يصدق! (ابتسامة عريضة على وجوه الجميع)
قد يبدون منحطين وعقيمين، ومزعجين أحياناً..
لكن ثاقب النظر يدرك أنهم هم المشترون!
ورغم أن الكثيرين لن يفهموا الأمر،

إلا أنه من الضروري تسريح ثلث العمال.
هناك أيضاً تخمة في سوق العمل..
ولا بد أن نضع لهذا حداً.

الجميع: هذا هو الحل الوحيد!

ماولر: وأن نخفض الأجور.

الجميع: حلٌ مدهش!

ماولر: فما هي الغاية من هذه الاجراءات؟..
في هذا الليل المسربل بالدم والحيرة
وفي وقت فقدان الانسانية فيه انسانيتها
حيث لم تعد تتوقف الاضطرابات في مدننا
وشائعات الاضراب العام عادت لتهز شيكاغو
نتخذ هذه الاجراءات
كي نمنع شعباً قصير النظر من أن يحطم
في فورة عنف طائشة أدوات عمله،
ويدمر بذلك أداة رزقه..
كي يعود الهدوء ويستتب النظام.
ولهذا سنموّل نشاطكم بسخاء يا معشر القبعات السود.
لأن نشاطكم يسهم في حفظ النظام.
ولا بد في الواقع من أن يكون بين صفوفكم
كثيرات مثل جان التي توحي رؤيتها بالثقة.

سمسار: بشرى سارة! خنقت محاولة الاضراب العام. والمجرمون الذين أفسدوا الهدوء، وأزعجوا النظام أصبحوا الآن في السجون.

سليفت: تنفسوا الصعداء، فسينتعش السوق.
تجاوزنا ساعة المحنة،
والمهمة الصعبة أُنجزت.
خطتنا تتأكد سلامتها أكثر..

والأمور تستعيد مجراها الذي يناسبنا
(موسيقى الأرغن)

ماولر: افتحوا الآن أبوابكم
للمتعبين والمهمومين.
املأوا قدوركم بالحساء،
ودعوا الموسيقى تصدح.
أما نحن، فسنكون أول من يجلس
لنرفع إلى الله قلوبنا الخاشعة.

سنايدر: افتحوا الأبواب!
(تفتح الأبواب على مصراعيها)

القبعات السود: (يغنون وعيونهم معلقة على الأبواب)
ارموا الشباك، فلا بد من أن يأتوا..
إنهم يغادرون الآن مأواهم الأخير..
قذفهم الله بالصقيع!
أغرقهم بالمطر!
لهذا لا بد من أن يأتوا..
ارموا الشباك!
أهلاً، أهلاً، أهلا..
أهلاً بكم بين أحضاننا!
ها هم ينحدرون على الطريق إلينا،
أغلقوا المنافذ..
لا تدعوا واحداً منهم يفلت!
إذا كانوا بلا عمل،
وإذا كانوا صماً عمياً،
فلن يفلت واحد منهم..
أغلقوا كل المنافذ!

أهلاً، أهلاً، أهلاً..
أهلاً بكم بين أحضاننا

اجمعوا كل من يدخل هنا!
المكسو منهم والعاري..
المحتذي منهم والحافي،
فالجميع يأتون ليبكوا بين أيدينا.
اجمعوا كل الذين يأتون إلينا!
أهلاً، أهلاً، أهلاً..
أهلاً بكم بين أحضاننا

إننا جاهزون..
وها هم ينحدرون إلينا..
انظروا!
البؤس يدفعهم كالمواشي نحونا.
انظروا!
لا بد أن يهبطوا إلينا..
انظروا!
إنهم ينحدرون إلينا..
وهنا في الأسفل، لا منفذ للهرب،
فنحن هنا بالمرصاد.
أهلاً، أهلاً، أهلاً..
أهلاً بكم بين أحضاننا!

● ● ●
● ●
●

١١
أ

[مسالخ. منطقة بقرب مستودع مصانع غراهام]

(المسالخ خالية تقريباً عدا بعض المجموعات من العمال التي تعبر المكان)

جان (تدخل وتسأل) هل مر بكم ثلاثة رجال كانوا يسألون عن رسالة؟

(صياح من الخلف يقترب. يظهر خمسة رجال يسوقهم الجنود أمامهم، وهم القائدان النقابيان والرجال الثلاثة من معامل الكهرباء. فجأة يتوقف أحد القائدين ويخاطب الجنود.)

القائد العمالي إنكم تقودوننا إلى السجن، ولكن اعلموا أننا فعلنا ما فعلنا لأننا نعمل من أجلكم.

جندي هيا، امش، إذا كنت تعمل من أجلنا.

القائد العمالي انتظروا قليلاً..

الجندي أتخاف الآن؟

القائد العمالي من المؤكد أني خائف. ولكنني لا أتحدث إليكم بسبب الخوف. كل ما أطلبه منكم هو أن تصغوا إلي لحظة. سأخبركم لماذا تعتقلوننا، فأنتم تجهلون السبب.

الجنود (يضحكون) طيب، أخبرنا إذن لماذا اعتقلناكم.

القائد العمالي رغم أنكم لا تملكون شيئاً، فإنكم تساعدون الذين يملكون كل شيء، لأنكم لا ترون حتى الآن أية امكانية لمساعدة الذين لا يملكون شيئاً.

الجندي أهذا هو السبب! لنتابع طريقنا إذن.

القائد العمالي مهلاً.. لم أُنهِ كلامي بعد. لكن العاملين في هذه المدينة يساعدون العاطلين عن العمل.. إذن، أصبحت الامكانية أقرب.. وعليكم أن تفكروا بهذا.

الجندي تريد دون ريب، أن ندعك تهرب؟

القائد العمالي لم تفهمني؟ اعلموا فقط أن ساعتكم ستحين هي الأخرى قريباً.

الجنود والآن، أيمكننا متابعة الطريق؟

القائد العمالي نعم الآن يمكننا.

(يتابعون السير. تقف جان وتتابع المعتقلين بنظرها. تسمع بجانبها رجلينّ يتناقشان)

الأول من هم هؤلاء؟

الآخر لم يفكر واحد من هؤلاء بنفسه،
كانوا يقاتلون، وهم دائماً مطاردون،
من أجل خبز الآخرين.

الأول ولماذا هم مطاردون؟

الثاني لأن الظالم يعبر الطريق في وضح النهار،
أما العادل فعليه أن يتخفى.

الأول ماذا سيجري لهم؟

الثاني أجرهم زهيد، وعملهم ينفع الأغلبية.
ليس بينهم واحد يعيش عمره
حتىَ نهايته الطبيعية.
ليس بينهم واحد يشبع خبزه

فيموت شبعاناً، ويدفن مكرماً.
كلهم يموتون قبل الأوان..
يضربون ويداسون
ويرمون في الأرض كالنفايات.

الأول لماذا لا نسمع عنهم أبداً؟

الثاني عندما تقرأ في الصحف
أنه تم اعدام بعض المجرمين،
أو حكموا بالأشغال الشاقة،
فالأمر يتعلق بهؤلاء.

الأول وهل سيبقى الوضع دائماً على هذه الحال؟

الثاني لا.
(تستدير جان فيناديها الصحفيون)

الصحفيون أليست قديسة المسالخ؟ أهلاً بك. لم تسر الأمور على ما يرام الاضراب العام خُنق، والمسالخ ستفتح أبوابها ثانية، لكن لثلثي العمال فقط، وبثلثي الأجر السابق. أما اللحم فسيرتفع سعره.

جان وهل وافق العمال؟

الصحفيون بالتأكيد. فالإضراب العام لم يعرف به سوى جزء من العمال. وهذا الجزء فرّقه رجال الشرطة بالعنف.
(جان تسقط مغشياً عليها)

• • •

ب

[أمام مستودع مصانع غراهام]

(مجموعة من العمال تحمل قناديل)

العمال لا بد أنها هنا.. جاءت من تلك الناحية، وهنا صاحت برجالنا أن المعامل الحكومية ستضرب.. لا شك أن زخات الثلج منعتها من رؤية الجنود.. أو أن أحدهم ضربها بأخمص بندقيته.. للحظة قصيرة رأيتها بوضوح.. ها هي!. لو كان بين صفوفنا الكثير من أمثالها.. لا، ليست هي، كانت عاملة عجوزاً.. هذه ليست منا.. دعوها مرمية في الأرض.. عندما يأتي الجنود يلمونها.

• • •
• •
•

١٢

[موت وتقديس جان دارك قديسة المسالخ]

(مقر القبعات السود وقد أصبح فاخر الأثاث. في مجموعات منظمة، يصطف أفراد ق.س بأعلامهم الجديدة ثم أصحاب م.ت ومربو المواشي وتجار الجملة)

سنايدر: ابتسم النجاح لنا..
واستعاد الرب سطوته.
كنا متسامين، وعند الحاجة مبتذلين.
يا من تعيشون في حمأة الحضيض
ويا من تتربعون على الذرى
يمكنكم الاعتماد علينا..
أخيراً تحقق النجاح.. والكل يعتمد علينا..

(تدخل مجموعة من الفقراء على رأسها جان يسندها اثنان من رجال الشرطة)

شرطي: إليكم امرأة دون مأوى.
لمحناها في المسالخ مريضة..
تدعي أن آخر مكان ثابت أقامت فيه
هو هذا المكان.

جان: (ترفع الرسالة عالياً وكأنها ما زالت ترغب بتسليمها)
الذي مات حالياً..

لن يتسلم مني الرسالة أبداً.
من أجل قضية عادلة،
طلبوا مني خدمة صغيرة.
كانت الخدمة الوحيدة التي يُطلب مني أداؤها..
ومع هذا تخاذلت، ولم أسلم الرسالة.
(بينما يجلس الفقراء على المقاعد لتناول الحساء، يتشاور سليفت مع التجار وسنايدر)

سليفت	إنها فتاتنا جان، وهي تصل في الموعد المناسب.
سنرفع شهرتها عالياً، وبكل الوسائل.
فهي التي ساعدتنا على اجتياز
هذه الأسابيع الصعبة، بتأثيرها الانساني،
ودفاعها عن الفقراء..
وحتى بالخطب التي هاجمتنا بها.
سنجعلها قديسة المسالخ.
نعم، سنرفعها إلى مرتبة القديسة،
ولن نبخل عليها بأي تكريم أو تبجيل.
بالعكس، فوجودها بيننا سيبرهن على أننا
ندلي المشاعر الانسانية مكانة رفيعة.

ماولر	لتنضمَ هذه الروح الطاهرة النقية
إلى صفوفنا..
وليندمج صوتها القوي الصافي
بغناء جوقتنا.
لتطارد جان الشر،
ولتتحدث عنا بالخير.

سنايدر	انهضي يا قديسة المسالخ
يا راعية الفقراء

يا حاملة العزاء لسكان الحضيض.

جان أي ريح تزوبع في الحضيض
وأي صراخ تكتم أيها الثلج!
وأنتم، تناولوا حساءكم!
لا تفرّطوا بلقمة واحدة.
لم يعد فيكم ما يمكن استغلاله،
فتناولوا حساءكم!
لو سلمت الرسالة التي عهدوا بها إلي
لأمكنني أن أواصل حياتي بسلام.

أفراد ق.س (يوجهون الكلام إليها)
ما زالت شديدة الاضطراب..
هي التي كانت تسير في بهمة الليل نحو الضياء.
أصبت التصرف لأنك بشر،
وأخطاؤك أخطاء بشر.

جان (بينما يلبسها أفراد ق.س الزي الرسمي لمنظمتهم.)
أسمع ضوضاء المصانع من جديد..
مرة أخرى، أهملنا كبح التعسف،
ومرة أخرى يعاود العالم دورته القديمة..
عندما كان تغيير هذه الدورة ممكناً
أحجمت عن العمل.
وعندما كانت مساعدتي، رغم ضعف إمكانياتي، ضرورية،
لم أقدمها.

ماولر الروح التي تتأجج توقاً إلى ذرى السموّ
لا تستطيع احتمال طبيعتها الأرضية.
وعندما تسير باعتزاز
كي تتخطى التفاهة اليومية، وهذه الحياة التي لا تطاق،

وصولاً إلى المجهول، إلى المثالي واللانهائي،
فإنها توغل أبعد مما يجب، وتتجاوز هدفها.

جان: تكلمت في جميع الساحات
وآلاف الأحلام تتوهج في صدري.
لكن المحصلة، هي أني ألحقت الضرر بالمضطَهدين
وخدمت المضطهِدين.

أفراد ق.س: في النهاية، كل عمل لا يخدم الجانب الروحي
يظل بلا معنى.

تجار الجملة: مهما كان، فإن النتيجة رائعة
حين تتحالف الروح مع التجارة...

جان: هناك حقيقة واحدة تعلمتها..
وأريد أن أخبركم بها، وأنا ألفظ أنفاسي:
وما أهمية أن تعرفوا، إذا لم تعطِ معرفتكم أي ثمار؟
أنا مثلاً، ماذا حققت؟.. لا شيء..
إذ ليس هناك ما يعتبر خيراً
إن لم يحقق المساعدة الفعلية.
وما من عمل شريف
إلا ذلك العمل الذي يغير العالم جذرياً.
العالم بحاجة إلى التغيير.
المستغِلون هم الذين استفادوا من عملي.
كانت طيبتي عقيمة، ونواياي لم تحقق أي نتيجة.
لا.. لم أغير شيئاً.
وأنا أغادر، دون خوف، هذا العالم الذي عبرته بسرعة:
أقول لكم:
عندما تتركون هذا العالم بدوركم،
اعلموا على ألا تغادروه أخياراً، فقط،

فهذا لا يكفي،
بل اعملوا على أن تغادروا عالماً خيِّراً.

غراهام: يجب ألا نسمح بنشر خطبها، إلا إذا كانت معقولة.
وعلينا ألا ننسى أنها كانت في المسالخ.

جان: بين الفوق والتحت هوة
أعمق من الهوة بين جبال هيملايا والمحيط.
ولا يعلم الذين تحت ما يجري فوق.
كذلك لا يعلم الذين فوق ما يجري تحت.
ولكل من الفوق والتحت
موازينه ومعاييره.
ولكل منهما أيضاً لغته..
ورغم أن لهما وجهاً إنسانياً واحداً،
فإن أياً منهما لا يتعرف الآخر..

تجار الجملة
ومربو المواشي: (بصوت مرتفع يطغى على صوت جان)
لكي يرتفع البناء إلى السماء
نحن بحاجة إلى الـ تحت حاجتنا إلى الـ فوق..
إذن، فليبق كل في المكان
الذي خصص له،
وليؤد باستمرار ما أوكل إليه.
لأنه إن تناسى واجبه
أربك التناغم في عالمنا.
بقاء الحثالة تحت ضرورة،
وبقاء الأكابر في الأعلى صواب.
الويل لمن يوقظ الحشود التي تحيا في الحضيض..
فهي أساسية بالنسبة لنا، لكنها لا تشبع.

وضرورية لمصالحنا، لكنها لا تعرف ذلك.

جان — لكن من هم تحت يجبرون على البقاء تحت،
كي يظل الذين فوق في مكانهم.
إن شرور وخسة من هم فوق لا تعرف حداً،
وحتى إن هم تحسَّنوا، فليس في ذلك أية فائدة،
لأن جوهر نظامهم يقوم على الاستغلال والفوضى..
نظام بهيمي، يتعارض مع المعقول.

أفراد ق.س — (لجان) كوني فاضلة، واسكتي..
هذا ما ينبغي عليك..

تجار الجملة — من يتحرك في الفراغ
لن يتمكن من النهوض.
فالصعود يعني: أن تصعد على الآخرين.
وكل خطوة نحو الأعلى، تقابلها رفسة نحو الأسفل.

ماولر — وأن تعمل في التجارة، يعني أنه لا مهرب من إيذاء الآخرين

أفراد ق.س — عليك دوماً أن تعي أثر الحذاء
الذي يدمي قدميك.

تجار الجملة — لا تحاول خلعه أبداً..
لأنك ستحتاجه من جديد!

أفراد ق.س — أشِر إلى السماء.. أشِر دوماً إليها،
ولكن حاذر أن تنسى الندامة.

تجار الجملة — افعل كل شيء..

أفراد ق.س — ولكن افعله والوساوس تقلقك!
فأنت كمراقب لما يحدث..
ولو احتقرت نفسك،
فإن ضميرك متيقظ.
أصغوا إلينا أيها التجار:

عندما تبيعون وتشترون..
وخاصة عندما تتعاملون بالسندات
لا تنسوا أبداً كلمة الرب العظيمة
التي تتطور دوماً
والتي لا غنى لكم عنها أبداً.

جان: ولهذا، إذا جاء واحد إليكم، أنتم الذين تحت،
وقال لكم، هناك إله، لا يرى،
يمكنكم أن تعتمدوا على عونه،
دقوا رأسه بالحجارة حتى يفطس

سليفت: جان دارك، في الخامسة والعشرين من عمرها
أصيبت بالتهاب رئوي في مسالخ شيكاغو
وهي تنقل رسالة الرب،
إنها مناضلة وشهيدة!

جان: كذلك إذا جاءكم من يقول لكم:
تستطيعون أن تسْموا خلقياً،
في حين تظل أقدامكم غارقة في الطين..
دقوا رأسه بالحجارة حتى يفطس.
فحيث يسيطر العنف، لا مخرج إلا بالعنف..
وحيث يعيش البشر لن يأتي العون إلا من البشر.

الجميع: (يغنون المقطع الأول من نشيد الجوقة كي لا تسمع كلمات جان)
أعطِ الثروة للأثرياء.. وساعدنا يا ربنا
وأعطهم الفضيلة فوق هذا.. يا ربنا
أعطِ للذين يملكون.. المدينة والدولة.. يا ربنا
وميز المنتصرين بعلامة.. يا ربنا
(خلال ترتيل هذه المقاطع تبدأ المكبرات بإذاعة أخبار

مرعبه:

« سقوط الجنيه! لأول مرة منذ ثلاثمائة سنة يغلق بنك أنكلترا أبوابه! »

« ثمانية ملايين عاطل عن العمل في الولايات المتحدة! »

« نجاح الخطة الخمسية! »

« البرازيل ترمي محصول سنة كاملة من القهوة في البحر! »

« ستة ملايين عاطل عن العمل في ألمانيا »

« افلاس ثلاثة آلاف مؤسسة مصرفية في الولايات المتحدة! »

« في ألمانيا تغلق الدولة البنوك والبورصات! »

« أمام معامل هنري فورد في ديترويت تجري مذبحة بين البوليس والعاطلين عن العمل. »

« افلاسٌ أكبر مؤسسة احتكارية في أوربا ، مؤسسة الكبريت! »

« سيتم تنفيذ الخطة الخمسية خلال أربع سنوات! »)

(تحت تأثير الأخبار المرعبة تبدأ المجموعات غير المنهمكة بالترتيل بتوجيه شتائم مقذعة، مثل:

« أيها الجزارون القذرون ، كله نتيجة ذبحكم الماشية دون حدود! »..

« يا مربي المواشي يا حقيرون ، ألم تستطيعوا الاكثار من عدد الماشية! »..

« يا لاحسي القرش ، يا مجانين ، ألم يكن بإمكانكم تشغيل عدد أكبر من العمال ، ودفع أجورهم؟ الآن ، من سيفترس كل هذا اللحم؟ »..

« الوسطاء هم الذين يتسببون في رفع الأسعار. »..

« المسؤول عن رفع سعر الماشية هم المضاربون بالحبوب. »..

« أسعار النقل بالقطارات تدمرنا »..

« الفوائد المصرفية تخنقنا »..
« من يستطيع دفع هذه الايجارات لاسطبلات الماشية وصوامع الحبوب؟ »..
« لماذا لا تبدأون أنتم بتقليص التكاليف؟ »..
« فعلنا ذلك، لكنكم لم تجارونا! »..
« أنتم المذنبون الوحيدون! »..
« لن تتحسن الأوضاع قبل التخلص منكم! »..
« مكانك الحقيقي هو السجن! »..
« أما زلت طليقاً حتى الآن؟! »..)

الجميع (يغنون المقطعين الثاني والثالث من نشيد الجوقة، صوت جان لم يعد يسمع أبداً.)
امنح الرحمة للأثرياء، وأنقذنا يا ربنا.
خذهم في رعايتك، يا ربنا..
امنحهم عفوك.. يا ربنا..
ساعد الذين يملكون.. يا ربنا
وكن شفوقاً بالذين لم يعرفوا الجوع.. يا ربنا!
(يتوضح أن جان قد توقفت عن الكلام)
ساعد طبقتك التي تساعدك دائماً.. يا ربنا
بأيدٍ سخية دائماً.. يا ربنا
حطم الحقد يا ربنا..
اضحك مع الضاحكين.. يا ربنا
وضع لشنيع أفعالهم نهاية حسنة.. وساعدنا يا ربنا!
(خلال هذا المقطع تحاول الفتيات إطعام جان صحن حساء. بعد أن رفضت الصحن مرتين، تمسكه في الثالثة، ترفعه ثم تسكب محتواه على الأرض. ثم تتهاوى بين أيدي الفتيات، جراحها مميتة ودون أية بادرة حياة. سنايدر وماولر يقتربان

منها.)

ماولر: أعطوها العلم!

(أحدهم يناولها العلم فيسقط من يديها.)

جان دارك. في الخامسة والعشرين من عمرها،
أصيبت بالتهاب رئوي في مسالخ شيكاغو،
وهي تنقل رسالة الرب،
إنها مناضلة وشهيدة!
كم يهزنا، نحن الأنذال

ماولر: سخاء روح نقية
وطهارة نفس بريئة.
عندئذ يستيقظ جانبنا التقي
الذي ينزوي في قلوبنا.

سنايدر: (الجميع يطيلون الوقوف في تأثر صامت. بإشارة من سنايدر يبدأ الجميع بإسدال الأعلام فوق جسد جان، برقة، حتى تغطيها كلها. المشهد مضاء بنور وردي.)

تجار الجملة ومربو المواشي: منذ كان العالم، منذ الأزل
وفي صدر الانسان يتوق هذا التوق..
روحه تلهمه أن يسمو إلى الأعالي
وكواكب المجرة تجذبه،
لكن جسده، وهذا ما يشقيه،
يشده للأسف نحو الأرض..

ماولر: آه.. أشعر بصدري المسكين
يتمزق شطرين..

بينهما سكين مغروزة حتى المقبض
شطر يجذبني إلى الخير ونكران الذات،
وشطر يشدني دون وعي مني..
إلى التجارة!

الجميع آه أيها الانسان
في صدرك تسكن روحان.
لا تحاول اختيار احديهما
فعليك أن تعيش بكلتيهما.
كن دائماً في نزاع مع ذاتك!
كن واحداً، ومنشطراً دائماً!
تمسك بالسامية، وتمسك بالحقيرة!
تمسك بالفظّة، وتمسك بالمتواضعة!
تمسك بهما معاً!

● ● ● ●

النهايـــة

● ● ● ●
● ● ●
● ●
●